

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 280120232398457336

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري  
بعنوان:

هندسة المكان في رواية "حفاة على الجمر"  
ل: أحمد حمادي

إعداد الطالبة:

- زهرة بريكات.

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1			جامعة المسيلة	رئيسا
2	أحمد أمين بوضياف	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3			جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445/1444 هـ - 2024/2023 م



# شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر والعرفان، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات:

## فكل الشكر

إلى أستاذي المشرف (أحمد أمين بوضياف) منبع المعرفة والسراج

الذي أنار دربي فكل الشكر والاحترام له

كما أتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

# مقدمة



توجهت جهود النقاد الأنباء إلى دراسة مختلف عناصر الرواية (الشخصية، الحدث، السرد، الزمان والمكان، وقد استحوذ عنصر الزمان والمكان في السنوات الأخيرة من القرن الماضي اهتماما واسعا من طرف هؤلاء النقاد لما لهما من رمزية ودلالة في بناء الرواية وتطورها، فقد أصبح المكان جزءا ضروريا وحيويا في العناصر الفنية التي يقوم عليها بناء العمل الروائي فهو لا يقل أهمية عن العناصر الفنية الأخرى. إذ تعد الرواية خير ممثل للمكان بكل تجلياته ومظاهره، فالرواية والمكان مرتبطان ببعضهما أشد الارتباط، فهي تحتاج إليه لتؤسس من خلاله عالمها ليكون مسرحا لأحداثها وشخصياتها، وبالمقابل تساعده على الكشف عن دلالاته ووظائفه ومستوياته ورصد أنماطه ونظرا للأهمية البالغة التي يحظى بها المكان في الرواية اخترناه موضوعا لمدونتنا التي نحن بصدد دراستها ف جاء البحث الموسوم ب: "هندسة المكان في رواية "حفاة على الجمر" للروائي أحمد حمادي، والتي جسدت لنا واقع الحياة الاجتماعية التي كانت تعيشها مدينة ريش ليو في حقبة زمنية معينة (التسعينات أو ما يطلق عليها بالعشرية السوداء).

وفي الحقيقة الرغبة في اختيارنا لهذا الموضوع نابعة من عدة دوافع وأسباب منها دافع ذاتي تمثل في إعجابنا بالطريقة التي يكتب بها الروائي الجزائري أحمد حمادي، ودافع موضوعي: تمثل في أهمية دراسة عنصر المكان لأنه الذي يضمن انسجام الرواية وجماليتها، وباعتبارها رواية حديثة الإنتاج ونقل عنها الدراسات رغم أنها حققت نجاحا باهرا في العالم العربي.

ومن هنا يطرح هذا الموضوع عدة إشكاليات يمكن أن نوجزها فيما يلي:

فما هو مفهوم المكان ما هي أنواعه ما هي أهميته وما هو مفهومه في الأدب فيم تتمثل علاقته بالعناصر السردية الأخرى؟ وهل استطاع توظيفه في الرواية كما ينبغي؟ ما هي أهم الأماكن التي وظفها في هذه الرواية؟ وما دلالة هذه الأماكن؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج البنوي القائم على وصف بنية اللغة وتحليلها لدراسة عنصر المكان كدلالة داخل المتن الروائي، لما له من معان ودلالات تحتاج



إلى وصف وتحليل واكتشاف ما توارى من خلفه ووصف مختلف الأمكنة.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، ففي المدخل المعرفي المعنون بـ: "المكان في الدراسات النقدية الحديثة"، تناولنا فيه ماهو المكان الروائي، وتعريف الرواية الحديثة والرواية الجزائرية الحديثة، وكذلك الفضاء الروائي في النقد الحديث (غاستون باشلار أنموذجا)، أما الفصل الأول عنوانه بـ: "ضبط المفاهيم والمصطلحات"، تطرقنا فيه إلى مفهوم المكان لغة واصطلاحا وأنواع المكان ومفهوم المكان في الأدب وكذلك أهمية المكان وتناولنا فيه أيضا أنواع المكان في الرواية وعلاقة المكان بالعناصر السردية الأخرى. أما الفصل الثاني التطبيقي حيث عنوانه بـ: "تجليات المكان في رواية حفاة على الجمر"، تناولنا فيه الأمكنة المفتوحة والمغلقة في رواية "حفاة على الجمر".

لنختم بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

واعتمدنا في هذا البحث عدة مصادر ومراجع كلها تصب في قالب الموضوع وبما أن المصدر الأم الأساس المعتمد في هذه الدراسة هو نتاج الروائي أحمد حمادي وقد تصدر نص الدراسة التطبيقية حفاة على الجمر"، وبالمقابل استفدنا من المراجع التي حاولت ان توصلنا وتساعدنا في دراسة هذا الموضوع نذكر منها:

- غاستون باشلار جمالية المكان.

- حسن بحرأوي بنية الشكل الروائي.

- حفيظة أحمد بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية.

وقد صادفتنا صعوبات عدة في مسار دراستنا لهذا البحث متمثلة في كثرة المراجع العلمية وكثرة الكتب ما سبب لنا تشويشا في ضبط المادة المعرفية، بالإضافة إلى ضيق الوقت وصعوبة تحصيل بعض المراجع المهمة في البحث لعدم توفرها في المكتبة.

وفي آخر المطاف لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور "أحمد أمين بوضياف"، الذي لولاه ما كان لنا أن ننجز هذا البحث، فننقدم له بأسمى عبارات الشكر والامتنان.



وفي الأخير نسال الله التوفيق والسداد، وأن يكون هذا البحث مقبولا وأن يستفيد منه زملاؤنا. والله الحمد والشكر.

# مدخل معرفي

## المكان في الدراسات النقدية الحديثة

- 1- إشكالية المصطلح (المكان الروائي)
- 2- تعريف الرواية الحديثة
- 3- الرواية الجزائرية الحديثة
- 4- الفضاء الروائي في النقد الحديث (غاستون باشلار أنموذجا)

## 1- إشكالية المصطلح (المكان الروائي):

رغم أنه من الصعب الإجابة عن سؤال يتعلق بماهية المكان، إلا أن هذا لم يمنع الدارسين والباحثين من اكتساح أغوار المكان بوصفه عنصراً هاماً من عناصر البناء الروائي ودونه لا يمكن للنص الروائي أن يستقيم، ولأهميته الكبرى وقف عند النقاد والدارسون ذهبوا في تحديد أنواعه مذاهب شتى، فاختلقت المفاهيم وتعددت الدلالات، وظهر نوع من التداخل بينها.

وتكمن أهمية المكان في البناء الروائي كونه يمثل الفضاء العام الذي تتحرك فيه الشخصية فلا وجود للشخصية تتحرك في فراغ، فالشخصية تبدو أكثر منطقية وقبولاً من ارتباطها أو انفصالها عن المكان.

والمكان الروائي ليس هو المكان الواقعي بالضرورة وكثير من الأماكن في الروايات رجع إليها النقاء من واقعيتها فلم يجدوا لها فالمكان الروائي تخلقه كلمات المؤلف بواسطة الوصف، وصف المكان والأشياء التي تملأه، وقد يكون واقعياً صرفياً، كما قد يعلق في الخيال.

ولنا أن نتساءل : هل يمكن النظر إلى المكان على أنه مجرد خلفية تتحرك أمامها الشخصيات أو تقع فيها الحوادث؟.

الحقيقة أن هذا المفهوم ما كان سائداً في الرواية التقليدية، وإذا ما بحثنا عن مفهومه في الرواية الرومانتيكية، تلفيه متعلقاً بنفسية الشخصيات ومعبراً عنها ومنسجماً مع رؤيتها للكون والحياة، وحاملاً بعض الأفكار.

ومع المفهومين معا في الروايتين التقليدية والرومانتيكية مازلنا لم تصل إلى معنى الشمولية والاتساع التي تعبر عنها بمصطلح فضاء، ومازلنا ندور في حلقة مغلقة أو بالأحرى في إطار للمعنى التقليدي للمكان في الرواية الذي يعد البنية التحتية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مجلة الفيصل، مجلة ثقافية شهرية، العدد 286، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ربيع الآخر 1421هـ، أغسطس، 2000م، ص 56.

فمتى يحقق المكان بنية فوقية؟ ، إذا ما اعتبرنا المكان بالمفهوم التقليدي مجرد بنية تحتية حين نقصد به الخلفية التي تتحرك أمامها الشخصيات أو تقع فيها الحوادث، وحين يظهر المكان معتبرا عن نفسية الشخصيات ومنسجما مع رؤيتها للحياة .

للوصل إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، لا بد من الإشارة إلى وضع المكان بالنسبة إلى باقي عناصر السرد فهل يقيم المكان علاقات معها، أم أنه يعيش منعزلا عنها، معلنا القطيعة معها؟.

إن المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات والأحداث والرؤى السردية.<sup>1</sup>

ومن هنا سينظر إلى المكان في إطار العلاقة الرابطة بينه وبين الأحداث والمنظورات والشخصيات، فيتسع المكان ليشمل هذه العلاقات فلا يبقى مجرد بنية تحتية بل سيحقق بنية فوقية، يتحول فيها المكان إلى فضاء، مادام متسع المفهوم، وشامل لتلك العلاقات بين الرؤى والشخصيات والحوادث، والمكان يمكن أن يحقق هذه البنية "عندما يسهم في بناء الرواية وعندما تختزقه الشخصيات..."<sup>2</sup>

ومن هنا نجد أن الفضاء يحتوي على كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما يتشكل بينها من علاقات وإذا كان الفضاء هو الذي يمنحها المناخ الذي تتفعل فيه، وتعبّر عن رؤيتها.

وإذا كان أيضا مساهما أساسيا في تطوير بناء الرواية، فإنه لا يعد عنصرا زائدا فيها، بل إنه كما يذكر الباحث "حسن البحراوي" قد يكون في بعض الأحيان "الهدف من وجود العمل كله".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أنيس محمد، الشعر العربي الحديث، بنياته وابداعاته، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م، ص 113.

<sup>2</sup> قاسم سيزا أحمد، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص 75 - 76.

<sup>3</sup> راشدي حسان، القصة الجزائرية القصيرة من خلال مجلة الأمل، رسالة ماجستير في الأدب الحديث، معهد اللغة العربية وأدابها، جامعة قسنطينة، ص 325.

وكما يرى أحمد زياد محبك<sup>1</sup> أن المكان لا يكون كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون القضاء الذي تصنعه اللوحة.<sup>1</sup>

## 2- تعريف الرواية الحديثة:

نظرا لافتقار النقاد التقليدي نقديّة ثابتة، وبحكم التنوع الذي يصل إلى درجة الفوضى في الأشكال الأدبية التي تتدرج تحت اسم الرواية، هذا ما يقوله الناقد "واين بوث" مبينا بوضوح مدى صعوبة التوصل إلى تعريفات شاملة فيما يتعلق بالرواية بل غن بعض المحاولات التي تهدف إلى وضع تعريف أو توصيف للرواية قد تجد نفسها محبرة إلى ما يشابه الحوار الذي تجده في الفن القصصي نفسه، شأن ما يذكره "أي أم فور ستر" (وهو روائي معروف)، إذ يقول: "الرواية كتلة هائلة عديمة الشكل إلى حد بعيد ... إنها بكل وضوح تلك المنطقة الأكثر رطوبة وغداوة في الأدب، حيث ترويه آلاف الجداول وتتخط أحيانا لتصبح مستتعا أسنا".

لقد أعلن النقاد موت الرواية مرة بعد مرة ثم عادوا لينغوا ذلك بابتكار نفسه، بل إن "رولاند بارت" يرى أن هناك صلة بين الرواية، والموت، أما مؤلفوا ما يطلق عليه اسم "مسارد التعابير الأدبية" المعقدة مثل "ام جي أبرامز" فهم يجدون أنفسهم مضطرين إلى انتهاج أساليب تقسم بالاختزال والاختصار الشديد، أو حتى السخرية وذلك لدى صياغة تعاريفهم، حيث يقول: "يطلق تعبير الرواية الآن على أنماط شديدة التنوع من الكتابة بحيث يجمع بينهما في الحقيقة إلا كونها أعمالا نثرية مطولة.

والرواية هي عمل أدبي ذو طول معين فيه خط من نوع معين".<sup>2</sup>

وبعد أن حددنا تعريفا الجانب من جوانب جوهر الرواية، وهو ما يمكن بالأحرى أن نعبر عنه بعدم قابليتها الدائمة والمتعمدة، لأن يكون لها تعريف (بمعنى تقرير حدود معينة ثابتة لها).

<sup>1</sup> قاسم سيزا أحمد، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب، ص 76.

<sup>2</sup> روجر آلن، (الرواية العربية)، ترجمة: حصة ابراهيم المنيف، المجلس العلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1997م، ص 18.

ولذا فقد يكون من الأسهل إلى حد كبير مناقشة الرواية كنمط أدبي في مختلف مراحل تطورها .

وضمن نطاق المفهوم النقدي المعاصر، حيث يتم تطبيق منهجية مشابهة على أنماط متنوعة قديمة العهد إلى حد لا يستهان به، حتى ولو كان ذلك تحت عنوان "رواية ما قبل الرواية" غير أنه من منظور الرواية باعتبارها الشكل المفضل من الأدب القصصي المعاصر.<sup>1</sup>

وخلاصة القول فالرواية نمط أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال، وكل عمل روائي يجاهد بدرجات متفاوتة في قوتها ودقتها الفنية، لكي يعكس عملية التغيير الدائبة، بل وحتى الدعوة للتغيير في بعض الأحيان، وحين يمضي مثل هذا النمط الأدبي مستهدفا تحقيق هذه الغاية ضمن نطاق شديد التنوع والديناميكية يشمل العالم العربي بطوله وعرضه فلا بد لنا من مواجهة موضوع يزداد تعقيدا يوما بعد يوم.

وفي حوار أذيع منذ مدة طويلة مع المرحوم بإذن الله عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين" قال ما معناه : إن الكاتب القصصي والروائي، هما أكثر أدباء هذا العصر تمثيلا لحيوية اللغة العربية وتطورها، فلغة العصر تتجلى في شيء منطوق أو مكتوب مثلما تتجلى في الرواية والقصة.

وهذا الرأي في الواقع - إذا نحن تأملناه - وجدناه في غاية الدقة والصواب.

ومن ينظر في الروايات العربية ابتداء من "زينب" محمد حسين هيكل" التي صدرت الطبعة الأولى منها سنة 1913 وقيل 1914 حتى أحدث الروايات صدورا يكتشف أن الرواية ظلت تبتعد شيئا فشيئا عن اللغة التقليدية المتمثلة في لغة الأدب القديم من شعر ونثر مقامي وتاريخي وفني.<sup>2</sup>

ومن خلال هذا فقد ولدت الرواية العربية الغنية في مطلع القرن العشرين، بعد اطلاع الأدباء العرب على الثقافة الغربية، ويجمع الدارسون على أن رواية "زينب" محمد حسين

<sup>1</sup> ابراهيم خليل، بنية النص الروائي (دراسة) منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م، ص 239.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 240.

هيكل" 1914، أول رواية عربية ن كما يجمعون على أن السير الشعبية والنوادر والحكايات لم تشكل جذورا للرواية العربية الحديثة.<sup>1</sup>

### 3- الرواية الجزائرية الحديثة:

إن وجود النص الروائي ضمن الإنتاج الأدبي في الجزائر بعد أمرا مستحدثا وجديدا، بالموازنة مع الفنون الأدبية الأخرى كالشعر والنص النثري "المقامة السيرة ...." ذلك أن أول نص روائي جزائري كتب باللغة الوطنية صدر متضمنا معالم مبكرة للنص الروائي هو نص رواية "ريح الجنوب" لـ الب عبد الحميد بن هدوقة.

ولا بد من الاعتراف أن الباحث في النص الروائي، بعض هذه النصوص يعود إلى سنوات الأربعينات والخمسينات والستينات مثل "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوجو" و "الطالب المنكوب" "لعبد الحميد الشافعي" و"صوت الغرام" "محمد منيع" .... الخ.

وبعض هذه النصوص يرجع إلى ما قبل هذه المرحلة بعدة عقود وأفضل نموذج لها "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" و"حاجري" "لابن الملك الشايح" مع "زهرة الانس بنت التاجر" التي ألفها "محمد ابراهيم" (الأمير مصطفى) المولود سنة 1806 والمتوفي عامه 1886.<sup>2</sup>

### 4- الفضاء الروائي في النقد الحديث (غاستون باشلار أنموذجا):

#### أ- المكان في الرواية :

كان للفكر الحديث الفضل في توسيع النظر إلى المكان، فقد شغلت قضية المكان العديد . والروائيين، وكان لكل واحد منهم طريقته الخاصة به في فهم هذه القضية التي انطلق في دراستها الباحثون والنقاد من منطلقات عدة وأصول معرفية شتى، وسواء أنهم اجتهدوا في وضع المفاهيم، وصياغة التعاريف، فتنوعت وتشعبت بحسب اتجاهات الباحثين أو المفكرين، كما اجتهدوا أيضا في البحث عن دلالاته.

<sup>1</sup> الخطيب محمد كامل، الرواية والواقع، سلسلة النقد الأدبي، ط1، دار الحداثة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981م، ص ص 15-16.

<sup>2</sup> يوسف حطيني، دراسة مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ص 68.

وما يهمنا أكثر هو أن نعرف مفهوم المكان، خاصة وأن هذا الأخير عنصر حكالي هام قائم بذاته وطرف أساسي من أطراف العمل الروائي شغل حيزا كبيرا في حقل الدراسات النقدية الحديثة نظرا لأنه اكتسب في الرواية الحديثة أهمية كبيرة باعتباره أيضا المكان الذي تشهد فيه حركة الشخصيات ومجرى الأحداث.

فيتساءل معظم النقاد المحدثين عن مفهومه حيث تساءلوا: هل هو كيان، ثابت، ساكن جامد، أم هو كيان معنوي: يتحرك معنا وبعيش في ذاكرتنا، فترسم إزاءه صورة معينة، تتجلى أمامنا كلما تدفق تيار الذكرى، هو المكان الذي يثير في أنفسنا إحساسات ومشاعر من شأنها أن تجعلنا ننجذب إليه أو تنفر منه؟.

إجابة هذه الأسئلة، أرى أنه من الضروري التعرض لأهم الآراء التي أثرت حول المكان كمفهوم نقدي إجرائي، ويتكى معظم النقاد على ما قدمه "باشلار" و"لوتمان" في هذا الميدان.

لقد بقي كتاب "باشلار" "جماليات المكان" أو "شعرية الفضاء" حتى اليوم الخلفية الضرورية لكل باحث ودارس في ميدان شعرية الرؤى وجمالياتها وعملي هنا يستند عموما على ما قدمه "باشلار".

والمكان بالرغم من اعتباره أحد عناصر الرواية الغنية وإكسابه أهمية كبيرة فيها إلا أننا لا نستطيع النظر إليه من هذه الزاوية فحسب، ذلك أن أهمية المكان أشمل وأهم من ذلك بكثير: "لأنه يتحول في بعض الأعمال المميزة إلى فضاء يحتوي على كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، وتمنحها المناخ الذي تتفعل فيه وتعتبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل للرؤية البطل والمثل المنظور المؤلف<sup>1</sup>.

لذا يمكننا الإقرار بأن المكان لا يتحول إلى فضاء إلا في بعض الأعمال المتميزة - كما أشير إلى ذلك أنها - ذلك أنه لا يعدو في بعضها الآخر على أن يكون مجرد مكان.

<sup>1</sup> مجلة الفيصل، العدد 286، ص 55.

## ب- المكان ومبدأ التقاطب:

الكثير من الدراسات والأبحاث تبرز التعامل والتوظيف المكثف لمجموعة من التقاطبات (polarities spaciales) فهناك عدد كبير منها ؟ يمكننا العثور عليه في كثير من النصوص وتظهر تلك التقاطبات في شكل ثنائيات ضدية :

(كالانغلاق والانفتاح)، (الداخل والخارج)، (الإقامة والانتقال)، (الاتساع والضييق) .... الخ.

وقبل أن أفصل الحديث عن هذا المفهوم الهام، لا بد أن تعرف ما إذا كان قديما أم جديدا. يذكر أحد أن مفهوم التقاطب ليس جديدا تماما، إذ تصادفه في جذوره الأولى عند "أرسطو" في كتاب "الفيزياء"، حين يتحدث عن الأبعاد الكلاسيكية الثلاث الطول، العرض، الارتفاع) وتبرز التقاطبات التي يحددها جسم الإنسان الواقف يمين يسار)، (أمام / خلف) ، (أعلى / أسفل)<sup>1</sup>.

والحقيقة أن "كتاب "شعرية الفضاء" لصاحبه "غاستون باشلار" يتناول مجموعة من التقاطبات التي تدرج ضمن غطار الرؤية التصنيفية. مثل الجدل القائم بين (الداخل/الخارج) والمعارضة بين (القبو/العلية) و(البيت، اللابيت) .

كما نلاحظ تركيز "باشلار" في كتابه "جماليات المكان" على قيم الحميمية والحماية والألفة، اللألفة، وقد لا تكون هناك علاقة بين المظهر الخارجي للمكان وما يشعر به الإنسان فهناك أمكنة نشعرنا بالألفة رغم بساطتها كقوله: إذا طالعنا بالألفة فسيبدو أبأس بيت جيلا...<sup>2</sup> وأخرى باللا ألفة فخامتها، ووراء هذا الشعور أسباب مختلفة جعلت بعض الرؤى خالدة، حية في ذاكرتنا لا نستطيع أبدا نسيانها، بل نستطيع للحظة عدم التفكير فيها، وأخرى قابلة للإحياء والزوال مادام الإنسان لم يشعر فيه بالألفة.

وإذا كان الأمر يتعلق بالشعور، فهو مرتبط بالجانب النفسي لذا نجد "باشلار" يركز على الجانب النفسي للمكان، وهما الاثنان يثيران في نفس الإنسان شعورا : إما بالدفء أو

<sup>1</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط2، 1404هـ - 1984م، ص 36.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 37.

اللادفاء، وإذا يناقش "باشلار" هذه الثنائية، فإنه يكسبها إما فيما إيجابية وإما سلبية، وما لاشك فيه أن البيت وما يحويه من معاني اللاهائية يحمل قيما سلبية.

ونجد الناقد السوفياتي "يوري لوتمان" أقام نظرية متكاملة للتقاطبات المكانية<sup>1</sup>، وهذا ما دعا الكثير من الباحثين إلى اعتماد جانب من هذه النظرية، نظرا لما تتضمنه من أبعاد وعمق مكاني يعكس التصورات والتجليات للمكانية من بينهم "باديس فوغالي" في دراسته عن بنية القصة الجزائرية القصيرة).

وانطلاقا من "لوتمان" أسس الباحث "حسن البحراوي" منهجا لتصنيف المكان وفق ثلاث مفاهيم هي: "التقاطب، التراتيب والرؤية".

وأما التقاطب فيعني وجود قطبين متعارضين في المكان وفق تقابلات ضدية، كالإقامة والانتقال وبعد هذا التقاطب أصليا مادام ستتولد عنه: "طائفة من الثنائيات المرتبطة بكل طرف على حدة، بحيث تشكل امتداده الطبيعي وتزيد في اتساعها الدلالي<sup>2</sup>. ونجد كذلك أن الفضاء يتوزع إلى عدة طبقات أو فئات مبدأ تراتبي معقد.<sup>3</sup>

ومن خلال مفهوم "التراتب" درس الباحث حسن البحراوي طبقات الفضاء السجني بناء على أهميتها من حيث الدرجة والرتبة<sup>4</sup>.. وتعد "الرؤية" للمفهوم الثالث الذي اعتمده، ولهذا المفهوم ميزة... " خاصة في دراسة الفضاء الروائي، لأننا لا نواجه في الرواية فضاء خاما، بمعنى الكلمة، وإنما نواجه أجزاء وعناصر منظور إليها بطريقة خاصة.

فالرؤية هي التي ستمدنا بالمعرفة الموضوعية أو الذاتية التي تحملها الشخصية عن المكان، ويحيطنا علما بالكيفية التي تدرك بما أبعاده وصفاته،<sup>5</sup> وفي جانب من هذه الجوانب تستطيع الحكم على مدى قدرة الروائي في تطويق أجزاء المكان .

<sup>1</sup> حسين البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990م، ص 26.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 41.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص ن.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص ن.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 42.

وفي الأخير أخلص إلى القول: "إن المكان يحمل العديد من الدلالات والأبعاد التي تصل حد التناقض، فهو منفتح ومنغلق، ضيق ومتسع ... وما يثير انتباهنا هو أنه تسلل إلى النص الروائي فكف أن يكون بيتا ذا جدران مهترئة أو حصينة، وكف أن يكون مقهى ذا أركان مغلقة أو حتى مدينة أو وطن، يتجاوز الرسم الهندسي ويدخل ضمن هندسة يشكلها ويصممها الروائي عن طريق الخيال بصورة رائعة تجعل القارئ نفسه يشتغل ويمارس دوره كطرف من أطراف العملية الإبداعية والحق أنه لا نص بلا قارئ، ولولا القارئ لم يكن للنص قيمة، وما دام النص يلقي على القارئ أسئلة ويحاول هذا الأخير انطلاقاً من معرفة معينة يجيب عنه...".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> حسين خمري، نظريات القراءة، وتلقي النص الأدبي، مجلة العلوم الانسانية، العدد 12، ص 175.

# الفصل الأول

## ضبط المفاهيم والمصطلحات

- أولاً: مفهوم المكان
- ثانياً: المكان عند الغرب
- ثالثاً: المكان عند العرب
- رابعاً: مفهوم المكان وأهميته في الأدب
- خامساً: أهمية المكان الروائي
- سادساً: أنواع الأمكنة
- سابعاً: المكان وعلاقته بالعناصر الأخرى



أولاً: مفهوم المكان.

### 1- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في باب مكن في قول ابن سيده والمكان الموضوع والجمع أمكنة كقذال و أقذلة أماكن جمع الجمع. قال ثعلب يبطل أن يكون مكان فعالاً، لأن العرب تقول كُنْ مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك فقد دل هذا انه مصدر من مكان أو موضوع منه، قال: "وإنها جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة أصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف كما قالوا منارة منائر فشبهوها بفعالة وهي مفعلة من النور وكان حكمه مناور"<sup>1</sup>، أي أن الجذر الأصلي للمكان هو مكن حسب ابن منظور.

وردت لفظة المكان في القرآن الكريم بمعانيها ومشتقاتها حيث قال الله تعالى: "وإذكر في الكتاب مريم إذ التبتت من أهلها مكانا شرقياً."<sup>2</sup>

جاء في معجم الوسيط مكنت الجراة ونحوها ، مكنا باضت باضت أو جمعت البيض في جوفها فهي مكون (ج) مكان. "مكن فلان عند الناس مكانة: عظم عندهم، فهو مكين (ج) مكناء، وفي التنزيل العزيز: قال إِنَّهُ اليوم لدينا مكين أمين". أمكنة" من الشيء: جعل له عليه سلطان وقدرة. و - الأمر فلاناً سهل عليه وتبشر له، ويقال: فلان لا يمكنه النهوض: لا يقدر عليه. مكن له في الشيء: جعل له عليه سلطاناً، وفي التنزيل العزيز "إننا مكئاً له في الأرض". تمكن" عند الناس على شأنه. و - المكان، وبه: استقر فيه، من الشيء: قدر عليه أو ظفر به"<sup>3</sup>.

وقال الزبيدي معجمه تاج العروس أن "المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر الكلام صارت الميم كأنها أصلية"<sup>4</sup> أي أن أصل مكان هو الفعل كان.

<sup>1</sup> ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، 1997م، ص 113.

<sup>2</sup> سورة مريم / 16

<sup>3</sup> معجم الوسيط، ص881

<sup>4</sup> الزبيدي، تاج العروس، مج 18، باب النون، تح علي بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط، 1994، ص -



## 2- اصطلاحا:

المفاهيم الاصطلاحية للمكان عند النقاد منها :

قال غاستون باشلار: إن المكان الذي يجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تميز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجود في حدود تتسم بالجماعة كما في الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والأنتى المتوازية".<sup>1</sup>

أما شوبنهاور فيقول: "(هو خيالي أنا) إذن فهناك مكان ينظر إليه من جوانب وأبعاد مختلفة فتضحى الأشياء المادية الواحدة متعددة الأشكال تبعا لاختلاف الجانب الذي ينظر إليه ونفسية الناظر، فقد أرى مكانا ما برحا، في حين يراه غيري ضيقا لا يكاد يتسع لبعوضة فالمكان أكثر من منظر طبيعي انه حالة نفسية، يستعاد عن طريقها التاريخ المتجذر في اللاوعي المرتبط بهذا المكان أو ذاك".<sup>2</sup>

ويقول ياسين التصير : إن المكان عندنا شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني يتجدد عبر الممارسة في الجانب الذي ينظر إليه ونفسية الناظر، فقد أرى مكانا ما تعددت برحا، في حين يراه غيري ضيقا لا يكاد يتسع لبعوضة فالمكان أكثر من منظر طبيعي إنه حالة نفسية، يُستعاد عن طريقها التاريخ الشخصي المتجذر في اللاوعي المرتبط بهذا المكان أو ذاك".<sup>3</sup>

من خلال هذه الآراء الثلاث التي تطرقنا إليها اتضح لنا أن المكان يركز على ثلاثة أسس الخيال وأشار إليه باشلار الذي يعتقد أن المكان عبارة عن خيال يعيش فيه الإنسان ولكن بطريقة غير موضوعية ومميزة في الوقت نفسه، فيجعلنا ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجود ولكن في حدود تتميز بالجماعة مثل ما يوجد في الصور.

<sup>1</sup> در غاستون باشلار، جماليات المكان في الرواية، ترغائب هانساء وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص 179.

<sup>2</sup> حنان موسى، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الاردن، 2004، ص 23.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 23



- الحالة النفسية يرى شوبنهاور أن المكان له جوانب وأبعاد عديدة حيث تختلف نفسية الناظر إليه فهناك من يراه مكانا واسعا وهناك من يراه ضيقا.

- الوضع الاجتماعي: يرى ياسين التصير أن المكان مثل أي عنصر آخر من عناصر البناء الفني للرواية، فهو يتغير بتغير الممارسة الواعية للمؤلف لأنه ليس بناء خارجيا له باب ومساحة ونوافذ وإنما هو بنية الفعل المغير له تاريخ محدد.

وقال ابراهيم عباس: أن المكان هو مكون القضاء، ولما كان هذا المكان دوما متعدد الأوجه والأشكال، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، إنه الأفق الرحب الذي يجمع جميع الأحداث الروائية، فالمقهى والشارع والمنزل والساحة كل واحد منها يعتبر مكانا محددًا إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها فإنها جميعا تشكل شيئًا اسمه فضاء الرواية<sup>1</sup>.

يرى ابراهيم عباس أن المكان عنصر أساسي في بناء العمل الروائي مهما تعددت أشكاله وفضاءاته، ذلك أن المكان هو الوعاء الذي يضم أحداث الرواية فالمقهى والشارع والمنزل كلها أمكنة لها دلالات ورموز تساهم في بناء الرواية وتطور أحداثها وتشكيل جمالياتها.

ويعرفه الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض بقوله: "هو كل ما عني حيزا جغرافيا حقيقيا، من حيث نطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط والأبعاد والأحجام والأنقال، والأشياء المجسمة...مثل الأشجار و الأنهار وما يعتري هذه الظاهرة الحيزية من حركة أو تغيير<sup>2</sup>.

ومعنى هذا أن مرتاض قد ربط المكان بالحيز واعتبره فضاءً جغرافيا قد يكون حقيقيا وقد يكون محسوسا.

<sup>1</sup> ابراهيم عباس، الرواية المغاربية (تشكل السرد في ضوء البعد الإيديولوجي)، الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005، ص 218

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردية معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لزقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص245.



## ثانياً: المكان عند الغرب.

المكان هو الموقع الذي يرتبط بالنشاط الذي يمارسه الانسان ويتعايش فيه الناس ويخططون مع بعضهم البعض، لتلبية احتياجاتهم المختلفة سواء كان في المنزل أو المدرسة أو البيت أو المؤسسة أو المستشفى باعتباره مكوناً أساسياً من مكونات العمل الروائي تطرق إليه الباحثون الغربيون واختلف تعريف المكان من مفكر إلى آخر فعند عاستون باشلار عرفه " بأنه المكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه أي بيت الطفولة... فالمكانية في الأدب . هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فيدل ذكريات بيت الطفولة"<sup>1</sup>.

يرى باشلار من خلال هذا القول أن المكان هو بيت الألفة الذي تولد وتكبر فيه فالبيت بالمحبة والحنان والمودة والعاطفة فتعتبر لفظة المكان في الأدب عبارة عن موضع تسترجع منه كل الذكريات الجميلة المتعلقة بطفولتنا وبراءتنا.

ويقسم عاستون باشلار المكان إلى قسمين وهما:

المكان الأليف ويقصد به مكان الألفة والطمأنينة وهو البيت الذي تشعر فيه بالراحة والمحبة والمودة اتجاه بعضنا البعض.

يقول: " أن البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال "<sup>2</sup>، معنى ذلك أنه البيت الذي يوفر الحماية ولأمان لنا، بيت الحنين والمشاعر الصادقة بيت معنى الذكريات الذي ترجع إليه عند الشوق والحنين إلى الماضي.

أما القسم الثاني فهو المكان المعادي يقول في ذلك: " إن مكان الكراهية والصراع لا يمكن دراسته إلا في سياق الموضوعات الملتهبة انفعاليا والصور الكابوسية "<sup>3</sup>. هذا لم يتحدث كثيرا عن المكان المعادي، لأنه مكان الكراهية والصراع يحمل تجارب سيئة ومؤلمة للإنسان فهو لا يريد أن يسترجع ذكريات كابوسية تشعره بالخوف والرعب والحرمان.

<sup>1</sup> غاستون باشلار: جماليات المكان، ط2، (تر غالب هلسا)، المؤسسة الجامعة للدراسة والنشر والتوزيع، لبنان، 1984، ص 6

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 9

<sup>3</sup> غاستون باشلار: جماليات المكان، ص 31.



وقد اتخذ المكان في العمل الفني عند باشلار مكانة متميزة إذ ليس المقصود بالمكان هذا الموضع الذي ينتسب إليه العمل الفني فالمكان هنا ليس مجرد حدود جغرافية أو أبعاد هندسية تمنح له لتحديد موضعه<sup>1</sup>.

أي أن المكان في العمل الفني بالنسبة له لا يتجاوز الحدود الجغرافية.

أما المكان عند يوري لوتمان فهو : « مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة... إلخ، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة مثل: الاتصال والمسافة»<sup>2</sup>.

أي أن المكان عند لوتمان مجموعة من الأشياء المتداخلة المترابطة فيما بينها من ظواهر وغيرها من الحالات.

ويرى أن المكان بالمعنى الفيزيقي أكثر التصاق بحياة البشر، من حيث أن خبرة الإنسان بالمكان وإدراكه له يختلفان عن خبرته وإدراكه، لزمان، فبينما يدرك الزمان عذراك غير مباشر من خلال فعله في الأشياء، فإن المكان يدرك إدراكا حسيا مباشرا، يبدأ بخبرة الإنسان لجسده: هذا الجسد هو (المكان)<sup>3</sup>.

بمعنى أن وجود الإنسان منذ اللحظة الأولى في هذا الكون يكون مرتبطا بالمكان فيدركه مباشرة بحواسه، وذلك لخبرته الطويلة بجسده فيعتبره مكانا. أما المكان عند برادلي فيتألف "من أجزاء جامدة SOLID ممتدة بيد أن هذه الأجزاء لا بد أن تكون قابلة للانقسام إلى كثرة مختلفة من الأجزاء، وطالما أن الأجزاء ممتدة فهي بالضرورة للقسم وهكذا إلى ما نهاية"<sup>4</sup>.

إذن فالمكان عنده يتكون من عدة أجزاء وهذه الأجزاء تجمع بينها علاقات لولاها لما تكون المكان.

<sup>1</sup> غاستون باشلار، جماليات الصورة، طاء التصوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010، ص 289

<sup>2</sup> يوري نومان وآخرون: جماليات المكان، ط2، عيون المقالات الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 69.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 59

<sup>4</sup> محمد توفيق الصوي: مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة، ص 48.

ويرى غير ماس مفهوم المكان من منطلق الرؤية إذ يرى أنه أي الفضاء الفني، حسب اقتراحه " موضوع مهيكلي يحتوي على عناصر متقطعة غير مستمرة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسي متميز يسهم في تصوير التحولات والعلاقات المدركة، والمحسوسة بين الذات الفاعلة داخل الخطاب السردى"<sup>1</sup>.

أي أن المكان في نظر عريماس هو الشكل المدروس الذي يحتوي على عناصر متفككة ومنتشرة وفق الأسس المضبوطة داخل الخطاب السردى.

### ثالثاً: المكان عند العرب

لقد صار درس المكان من منظورات المناهج النقدية الحديثة كلياً أو جزئياً غالباً على النقد التطبيقي العربي خلال العقد الأخير ولاسيما نقد السرديات، فالمكان يعد مكوناً أساسياً من مكونات التحليل السردى مثل الزمن، وقد تناول العديد من النقاد العريفي العصر الحديث مصطلح المكان وسوف تقوم الدراسة بعرض دراسات هؤلاء النقاد مثل:

مهدي عبيدي الذي تناول دراسة المكان بقوله: « يفرض الحدث بعد التنقلات في الأمكنة وهذه الأمكنة وتتوحد وتتوحد، تتوحد الحدث وتحركه، ويصعب أن نجد تجري أحداثها في مكان واحد»<sup>2</sup>.

إذن فالمكان يعطي النشاط والتحولات الاقتصادية والاجتماعية وقد يجري الحدث في مكان ضيق ومحصور كالبيوت أو مكان واسع.

ويقول أيضاً: " الأحداث، فالمكان لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل معها في علاقات متحددة، وإن ظهور الشخصيات ونمو الأحداث يسهم في تشكيل البناء المكتبي وهذا المكان الذي لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له والحدث كان في خدمة البطل"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ط1، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، 2008، ص 176 175

<sup>2</sup> مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 218.

<sup>3</sup> نفسه، ص 219



إن المكان الروائي بالوقت نفسه يحدده الفضاء الدلالي الذي تؤسسه ومن هذا المنطلق يمكن يربط جدليا ما بين المكان والحدث ذات صلة وثيقة بالمكان وفضاء الشخصيات.

وقام الناقد حسن بحراوي بدراسة المكان في كتابه "بنية الشكل الروائي" فيقول إن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني<sup>1</sup>.

وكذلك يمكن النظر إلى المكان: « بوصفه شبكة من العلاقات والرؤبات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشديد الفضاء الروائي الذي تجري فيه الأحداث فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، وبصورة عامة فإن الوضع المكاني في الرواية يمكنه أن يصبح محددًا أساسيا للمادة الحكائية وتلاحق الأحداث والحوافز، أي أنه سيتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري ويحدث قطعة مع مفهومه»<sup>2</sup>.

وعلى هذا النحو فالفضاء عنصرا أساسيا في المادة الحكائية لسرد، فهو ليس عنصرا رائد وذلك لتضمنه معاني ودلالات عديدة.

وتطرقت سيزا قاسم في دراستها للمكان إلى أن المكان يمثل: « الخليفة التي تقع فيها الأحداث الرواية أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها وهذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فغن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وهناك اختلاف بين طريقة وإدراك الزمن وطريقة إدراك المكان حيث أن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي، فتقوم دراسة المكان في الرواية على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تخالفه»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، طاء المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص 66، 65.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 32

<sup>3</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية الهيئة المصرية العلمية للكتاب، القاهرة، 1978، ص 106.

إذن لا يمكن تصور حكاية أو رواية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان لأنه الرقعة الأساسية التي تقوم فيها الوقائع لأن كل حدث يكون في مكان محدد وزمان معين.

ويخضع النص الروائي إلى تنظيم مكاني آخر من حيث تكوينه المادي إذ أن الروائي عندما يبدأ في بناء عالمه الخاص الذي سوف يضع في إطاره الشخصيات ثم يسقط عليه الزمن (حيث أن الزمان لا يوجد مستقلا عن المكان، ليصنع عالما مكونا من الكلمات<sup>1</sup>.

ومما لاشك فيه أن روائي القرن التاسع عشر اهتموا اهتماما بالغا بالمكان، ولما جاء العرب يكتبون الرواية في القرن العشرين لم يجدوا صعوبة في التعامل مع الحيز الأدبي، "فبينما كان الحيز يعني لدى نجيب محفوظ"، وروائيين آخرين أكثر كل شيء، فكانوا يبالغون في وصفه وبيدعون في بنائه، حتى لا يشك أحد من المتلقين في أنه حيز حقيقي (مكان جغرافي)"<sup>2</sup>، كما أن الأدب من دون سرديات يكون أدبا ناقصا، فإن السرد من دون حيز لا يمكن أن يكون بتلك الأهمية فلا يمكن تصور وجود أدب خارج علاقته مع الحيز، لأن الأدب يتخذ من الحيز موضوعا له.

أما "سمية شوابكة" فتطرقت الدراسة المكان من خلال كتابها "المكان الروائي في أعمال محمد جبريل تقول: «ليس المكان الروائي حيزا جغرافيا أو بعدا هندسيا مجردا تقع فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات بأسرها النامية والمسطحة على حد سواء فحسب أو عنصرا ثانويا زائدا في الرواية لا قيمة لوجوده، ولا وزن الحضوره، بل هو ركن أساسي من أركان البناء، وعنصر حيوي فعال ترداد قيمة حضوره يتداخل عناصره معا في علاقات جدلية فاعلة»<sup>3</sup>.

إن المكان يعتبر من أهم العوامل التي يقوم عليها الحدث لأنه بمثابة الوعاء التي تجري فيه الأحداث ويحتضن الشخصيات ويسهم المكان بحضوره الفني المميز في العمل الروائي "بما يحمله من أبعاد سياسية تاريخية واجتماعية نفسية في خلق المعنى والدلالة، والحال أن

<sup>1</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية الهيئة المصرية العلمية للكتاب، ص 108

<sup>2</sup> عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 130

<sup>3</sup> سمية شوابكة، المكان الروائي في أعمال محمد جبريل، حكايا سحر الحكيم ومتعة التأويل، 2015، ص 1



المكان لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى دوراً أساسياً في البناء والتشكيل الروائي»<sup>1</sup>.

من خلال ما سبق يمكن استنتاج أن الوضع اجتماعي والحالة النفسية والتاريخ والخيال في الحالات التي ركز عليها النقاد، إذ هذه العناصر تعطي للكاتب القدرة على خلق المكان الروائي وصناعته، وأن المكان يمثل إلى جانب الزمان، الإحداثيات الأساسية التي تقوم عليها الرواية.

رابعاً: مفهوم المكان وأهميته في الأدب.

### 1- مفهوم المكان في الأدب:

عرف المكان في الأدب على أنه شبكة من العلاقات ووجهات النظر المرتبطة مع بعضها حتى تشكل الفضاء الروائي الذي تدور فيه الأحداث، فيجب أن يكون المكان منظماً بنفس الدقة التي تنظم بها العناصر الأخرى للرواية<sup>2</sup>.

يعتبر المكان مجموعة من العلاقات المترابطة فيما بينها إذ تساهم هذه الأخيرة في تشكيل فضاء روائي تسير فيه أحداث الرواية، كما يجب مراعاة المكان بطريقة دقيقة ومنظمة كبقية العناصر الروائية الأخرى.

كما يلعب المكان دوراً فعالاً داخل العمل الروائي "فهو يؤثر فيها ويقوي نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف، لأن تغيير المكان يؤدي بالضرورة إلى تغيير الحكمة"<sup>3</sup>، فهو يمثل كذلك محوراً أساسياً في الرواية، وقد اعتبر عنصراً تشكيمياً من عناصر العمل حيث يشكل بعداً جمالياً داخل الرواية" وبذلك يكون المكان الروائي هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها ببعض<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سمية شوابكة، المكان الروائي في أعمال محمد جبريل، ص 2

<sup>2</sup> الحفيظة احمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية دراسات نقدية، منشورات مركز أوجاريت الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1، 2007، ص 124

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 32

<sup>4</sup> غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هاني دمشق، ط1، 1989، ص 09

يعد المكان أداة أساسية من أدوات العمل الروائي حيث يساهم في مساعدة المؤلف على التعبير عن مقاصده، ثم إن تغيير هذا المكان يؤدي بالضرورة إلى تغيير هذه المقاصد، كما بعد كذلك عنصرا فنيا وجماليا لا يمكن الاستغناء عنه فهو بمثابة العمود الفقري الذي تقف عليه الرواية.

## 2- أهمية المكان في الأدب:

للمكان أهمية كبيرة في الرواية فلا يمكننا تصور رواية دون مكان كونه أحد العناصر الفنية في الرواية، ففي بعض الأعمال يتحول المكان إلى فضاء يحتوي العناصر الروائية: وتظهر أهمية المكان في قول بحراوي: "هو ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل انه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"<sup>1</sup>.

يرى بحراوي أن المكان عنصرا مهما في الرواية إذ يتضمن معاني كثيرة وله أشكال مختلفة، فقد يكون أحيانا الهدف الأساسي لتشكيل هذا العمل الروائي. كما يعد المكان عنصرا أساسيا في بناء الرواية وإن اختلفت طريقة تشكيله وعرضه من روائي إلى آخر ومن منهج إلى آخر، وعلى الراوي أن يوليه الدقة نفسها التي يستعملها عند تشكيله لعنصري الزمان والشخصية في الرواية، وتظل اللغة أساس المكان الروائي وباقي عناصر الرواية التي تشكل عنصرا خياليا ولفظيا بوصفه مجموعة من الصور شغلت مخيلة الروائي فينقلها إلى القارئ من خلال اللغة القادرة على الإيحاء والخلق، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقدماته الخاصة وأبعاده المتميزة"<sup>2</sup>.

للمكان قدرة تأثيرية كبيرة على الشخصية من الناحية البيولوجية، كما يتعدى تأثيره إلى طبيعة اللغة أو اللهجات التي تستعملها وكذا إلى اختلاف سلوكها وانطباعاتها بطابعه " ففي المكان الروائي تتدافع الأحداث نحو التعقيد، وبحسبك أن تتصور أشخاصا يولدون في

<sup>1</sup> الحسين بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي، لبنان، ط1، 1999م، ص

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 74.



اللامكان يتحركون في فراغ وبحسبك كذلك أن تتصور أحداثا تتم فضلا عن أنها تتشابك وتتناص في اللاشيء ، ثم عليك أن تحكم بعد تصور ما يمثله المكان من أهمية<sup>1</sup>.  
 للمكان دور هام في تفعيل العمل الأدبي والفني " فهو مسرح الأحداث والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية"<sup>2</sup> فمن خلال المكان وما يحدث فيه يمكن قراءة وفهم كل حدث وتفاعلات الشخصيات وحركيتهم مع المكان. فهو البنية الأساسية لتشكيل الحدث الروائي والحدث "لا يقدم سوى مصحوبا بإحداثياته الزمانية والمكانية ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السارد أن يؤدي رسالته الحكائية"<sup>3</sup> وكل هذا ضروري ومهم لتطور السرد لأنه بحاجة إلى عناصر زمانية ومكانية.

#### خامسا: أهمية المكان الروائي.

للمكان أهمية كبيرة في الرواية فلا يمكننا تصور رواية دون مكان، كونه أحد العناصر الفنية في الرواية ففي بعض الأعمال تحول المكان إلى فضاء يحتوي على العناصر الروائية. وتظهر أهمية المكان في قوله حسن بحراوي: هو ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكال فيتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من الوجود العمل كله"<sup>4</sup>.

فالمكان يعد "أحد الركائز الأساسية التي يركز عليها العمل والأدبي ولاسيما الرواية فهي تحتاج إلى مكان تدور فيه الأحداث، وتتحرك من خاتله الشخصيات ولا يهم إذا كان المكان حقيقيا أو خياليا من نسج خيال الكاتب"<sup>5</sup>.

وكحقيقة فالمكان قدرة تأثيرية كبيرة على الشخصية من الناحية البيولوجية، كما يتعدى تأثيره إلى طبيعة اللغة واللهجات التي تستعملها وكذا إلى اختلاف سلوكها وانطباعها بطابعه ففي المكان الروائي تتدافع نحو الاحداث فهو التعقيد بالدورة ، وبحسبك ان تتصور أشخاص

<sup>1</sup> شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 275

<sup>2</sup> أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، ص 50.

<sup>3</sup> حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي الفضاء (القضاء الزمن الشخصيات)، المركز الثقافي لبنان، ط 1، 1999، ص 29

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 33

<sup>5</sup> أسماء شاهين، جماليات المكان في الروايات جبرا ابراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2001، ص



يولدون في اللامكان يتحركون في الفراغ، ويحسبك كذلك ان تتصور احداثا تتم فضلا عن ان تتشابك وتتنامى في لا شيء ثم عليك ان تحكم بعد تصور ما يمثله المكان من أهمية<sup>1</sup>. مما يعني ان المكان هو الوعاء الذي يحوي الحدث الروائي وينظمه فلا يتحرك الشخصية إلا من خلاله.

فهذا ما ذهب اليه هنري متران "عندما اعتبر المكان هو المؤسس الحكى لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة، عند نزولها من مخيلة الأديب إلى أرض الواقع"<sup>2</sup>. إن تشخيص المكان أحيانا حسب إبراهيم عباس يكون الهدف من وجود العمل الروائي<sup>3</sup>. ويفرض هيمنة على كل عناصر الرواية لاعبا دور البطولة فالروائي من خلال وصفه للمكان وجماليته يمكن أن ينقل ذهن المتلقي من عالم الورق إلى عالم الواقع.

#### سادسا: أنواع الأمكنة.

إن تنوع الأمكنة يرجع بالضرورة إلى تنوع استخدامها في النص القصصي، وقد اختلفت آراء الكتاب إليها ولذا اختلفت المؤلفات التي تناولت أنواع الأمكنة فكل رأي يستند إلى مقياس معين، ومن هذه الآراء نجد فلاديمير برون الذي قسم المكان إلى ثلاثة أنواع<sup>4</sup>:

- **المكان الأصلي:** وهو عادة مسقط الرأس ومحل العائلة.

- **المكان العرضي أو الوقتي:** وهو الذي يحدث فيه الاختيار الترشيحي.

- **المكان المركزي:** وهو الذي يقع في الإنجاز.

أما إذا جئنا إلى إبراهيم مول ورومر فقد قسما الأمكنة إلى أربعة أنواع حسب حرية المرء فيه<sup>5</sup>:

- **عندي:** وهو المكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل السلطة.

- **عند الآخرين:** شبيه بالأول في انه يمنح الإنسان شيئا من الألفة والحميمة مختلفة عنه

<sup>1</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ دار التنوير، بيروت ط1، 1985، ص 104.

<sup>2</sup> إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، دراسة في بنيه الشكل، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002، ص 34

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص ن.

<sup>4</sup> ينظر: سلمان كاصبر، عالم النص السردية، دراسة بنيوية في الأساليب، دار الكندي، الأردن، 2003، ص 129.

<sup>5</sup> فتحة كلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، ص 19



في كون الإنسان يشعر فيه بأنه خاضع لسلطة الغير .

- **الأماكن العامة** : وهي أماكن تخضع للسلطة العامة نشعر فيها بالحرية لكنها محدودة.

- **المكان اللامتناهي**: وهو المكان الذي نستطيع أن نمثل له بالصحراء ، حيث لا يكون هذا المكان ملكا لأحد كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه.

قسم ابراهيم ورومر المكان حسب حرية التصرف فالأول هو مكان شخصي مثل الغرفة يستطيع المرء أن يغير ملابسه بكل حرية، ثم تبدأ هذه الحرية في التناقص كلما خضع هذا المكان لسلطة ما مثل منازل الأصدقاء و الأهل و الأقرباء، فهي أماكن نشعر فيها بالألفة والمودة لكنها تبقى لسلطة الغير .

- **الأماكن العامة** : مثل الحدائق المستشفيات والجامعات والمدارس، مقر العمل، هي أماكن نشعر فيها ببعض الحرية لكنها تبقى محدودة، والمكان اللامتناهي مثل الصحراء، والغابات البراري فالحرية فيها تكاد تكون مختلفة لأنها بعيدة عن سلطة الدولة.

أما إذا جئنا إلى النقاد العرب نجد غالب هالسا الذي استتبط أنواع المكان من خلال قيامه بعملية تحليلية للرواية العربية المعاصرة ، وقد صنفه إلى أربعة أنواع هي<sup>1</sup>:

- **المكان المجازي**: وهو المكان المفترض غير المؤكد وجوده في رواية الأحداث المتتالية، وهذا المكان ندركه ذهنيا ولا نعيشه.

- **المكان الهندسي**: وهو المكان الذي تصف الرواية أبعاده الخارجية بدقة وحياد، فتحوله إلى مكان خرائطي وليس مكانا فنيا.

- **المكان المعيش** : هو المكان الذي نعيش تجربته داخل العمل الروائي والقادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ ، وقد عاشه مؤلف الرواية وابتعاده عنه أصبح يعيش فيه بالخيال فهو المكان الذي لو عدنا إليه حتى في الظلام فسوف نعرف طريقنا إلى داخله.

- **المكان المعادي** : وهو المكان الذي يأخذ تجسيدات في السجن الطبيعة الخالية من البشر مكان الغربة ، المنفى ويتخذ هذا المكان صفة الأبوية بهرمية السلطة في داخله.

<sup>1</sup> ينظر : سلمان كاصر ، عالم النص السردى ، ص 129



سابعاً: المكان وعلاقته بالعناصر الأخرى.

### 1- الزمن:

للزمن أهمية كبيرة في العمل الروائي فهو يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها، والزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها مع العناصر الأخرى<sup>1</sup>.

كما أن المكان متصل بالزمان في النصوص السردية ففصل المكان عن الزمان أمر غير ممكن لأن الأديب يتصور الأشياء في مكان ما على هيئة معينة، وفي لحظات متعاقبة يصعب الفصل بينهما<sup>2</sup>.

يقول غاستون باشلار من خلال كتابه (جماليات المكان المكان في مقصوراته المعلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكتفا هذه وظيفة المكان<sup>3</sup>).

نستنتج من خلال هذه الأقوال أن المكان مرتبط بالزمن ارتباطاً وثيقاً ولا يمكن الفصل بينهما. وهذا ما أكده أحمد حمد النعيمي بقوله: إن الزمان والمكان في الرواية يرتبطان بعري وثيقة، لا تنفصم كما أن العلاقة بينهما وبين عناصر الرواية الأخرى هي علاقة حميمة<sup>4</sup>.

### 2- الوصف:

الوصف هو " أداة لإظهار ملامح الأشخاص الخارجية المرتبطة بأحوالهم الداخلية، كما أنها تضيء على الأحداث الجزئية والتفاصيل لتمنحها صفة الواقعية وتظهرها للعيان وتوضحها للأذهان<sup>5</sup>."

يشكل وصف المكان في الرواية أهمية كبيرة في بنائها ولهذا يمكن تقسيم المكان بحسب وصفه إلى قسمين :

<sup>1</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985، ص27.

<sup>2</sup> محمود محمد عيسى، تيار الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دراسة مقارنة، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 1981م، ص19

<sup>3</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب، علماء بغداد، دار الجاحظ للنشر، دط، 1980م، ص46.

<sup>4</sup> أم أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004م، ص81.

<sup>5</sup> إيليا الحاوي، في النقد والأدب المعاصر تطور القصيدة المعاصرة مقطوعات من الأبناء المعاصرين، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1986م، ج4، ص140

- الوصف الموضوعي: ويعني وصف عناصر المكان الخارجية التي يمكننا من خلالها معرفة ما يميز الشخصية عن باقي الشخصيات الأخرى.

- الوصف النفسي: ويعني بوقع الأماكن والأشياء على النفس ومدى تأثرها بها، مما يطبع الأماكن بطابع شعوري خاص، حيث تصبح الأماكن حاملة لقيم شعورية مؤثرة يتضح من خلالها عمق الشخصية وأبعادها النفسية<sup>1</sup>.

### 3- الشخصيات:

للشخصيات دور مهم في العمل الروائي وهي ترتبط بالمكان والعلاقة بينهما علاقة اتصال لأن الشخصيات تعيش الأحداث في أماكن مختلفة ومتعددة.

يبين لنا نبيل سليمان أن للمكان أهمية كبيرة وتأثير على الشخصية ويؤكد هذا من خلال قوله ولعل ما يفسر أهمية المكان أكثر ويعكس شدة تغلغله في كيان الفرد هو أنه المنطلق التفسير كل تصرف فلا يحكم على سلوك الإنسان إلا من خلال تواجده في المكان، فما يتبدى في مكان ما أنه غير لائق، قد يبدو كذلك في غيره من الأمكنة ، أضيف إلى ذلك أن جل مفاهيم الإنسان الأخلاقية والنفسية والاجتماعية وحتى الإيديولوجية لا يعبر عنها إلا تعبيراً مكانياً<sup>2</sup>.

ويضيف ضياء غني لفتة أن المكان يبين مشاعر الشخصية وأن الأحداث هي التي تتحكم في الشخصية وما تقوم به مؤكداً ذلك بقوله " كل حادثة لا بد أن تقع في مكان معين"<sup>3</sup>.

ويتبين لنا من خلال هذا القول أن القارئ بإمكانه التعرف على نفسية الشخصيات من خلال الأماكن التي تتواجد فيها.

<sup>1</sup> حسن الأسلم، الشخصية الروائية عند خليفة حسن مصطفى، مجلس الثقافة العام، سرت، ليبيا، 2006 ص 451

<sup>2</sup> دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص260، نقلا عن نبيل سليمان، جماليات التشكيل الروائي، ص 203.

<sup>3</sup> لضياء غني الفتة عواد كاظم لفتة، سردية النص الأدبي، دار حامد عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص283.

## 4- الأحداث:

قال نبيل سليمان " أن الصلة بين المكان والأحداث تلازمية إذ لا نتصور النظر إلى الأحداث بمعزل عن الأمكنة التي تدور فيها وانطلاقاً من تحديد العلاقة بين هاذين العنصرين يمكن النظر إلى فعل الشخصيات من حيث الدلالة على تطور الحكاية بين البداية والنهاية وهكذا تشابك الأجزاء لتعرض علينا وحدة النص الروائي"<sup>1</sup>.

نستخلص من هذا القول أن الأحداث متصلة بالمكان حيث أن كل واحد منهما لا يستطيع الاستغناء عن الآخر، فمثلاً أحداث رواية حفاة على الجمر كانت كلها مرتبطة بمكان وهو بلدية ريش ليو.

<sup>1</sup> المكان في رسالة الغفران، ص20، نقلاً عن نبيل سليمان، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق)، عالم الكتب للنشر والتوزيع، اريد، الأردن، ط1، 2012، ص 198.

# الفصل الثاني

## تجليات المكان في رواية حفاة على الجمر

أولاً: الأمكنة المفتوحة

- 1- القرية
- 2- الحديقة
- 3- الحوش
- 4- الجبل
- 5- الشارع
- 6- فرنسا
- 7- المقهى

ثانياً: الأمكنة المغلقة

- 1- المنزل
- 2- الغرفة
- 3- الدكان
- 4- المسجد
- 5- المطبخ

يعد المكان عنصرا متميزا له دور كبير في حياة الفرد وذلك لأنه يمكنه من التعايش والاستقرار والعيش بسلام وحرية في المحيط الذي ينتمي إليه وإدراك ما في الطبيعة وجمالها، والمكان من أكثر العناصر المهمة في الرواية، باعتباره المنطلق الذي يعتمد عليه الراوي في الأحداث، سرد وعند البحث في الرواية " حفاة على الجمر " تبين وجود عدة أنواع من الأمكنة أهمها: الأمكنة المفتوحة والأمكنة المغلقة.

### أولا: الأمكنة المفتوحة.

ان الأمكنة المفتوحة هي أمكنة غير محدودة ذات مساحة شاسعة وواسعة لا تحدها حواجز من الجوانب، « ويعتبر هذا النوع من الأقضية أمكنة عامة يمتلك كل واحد حق ارتيادها، وتعد فسحة هامة تسنح لناس بالالتقاء والتواصل كما تسمح بالحركة والتفاعل والنمو داخل النص الروائي»<sup>1</sup>.

أي أن المكان المفتوح مكان عام يحق لكل فرد فيه ارتياده، وهي فرصة تسمح للناس بالتواصل والتفاعل فيما بينهم، والمكان الفتح غير متناه يتميز بالانطلاق والحرية، ومن أهم الأمكنة المفتوحة التي وردت في الرواية القرية والجبل والحديقة وغيرها ...

### 1- القرية:

تعد من الأمكنة المفتوحة، وهي مجموعة من المنازل المنعزلة التي تكون فيها متطلبات الحياة ضئيلة وظروفها صعبة وهو مكان يقع جنب الغابة حيث يعيش فيها الإنسان حياة بسيطة وقد عرف الراوي المكان الذي يسكنه في قوله:

«ريش ليو، وهو أسم قرיתי شرق الجزائر ، اسم أطلقه الاستعمار الفرنسي على المكان فوق الهضبة الصغيرة المحاطة بتلال خصبة، تنتهي إلى جبال تكسوها عابات الصنوبر»<sup>2</sup>.  
يبين الراوي أن "ريش ليو " اسم قرينه المتواضعة الموجودة شرق البلاد وهو اسم أطلقه المستعمر على تلك البلدة التي تنتهي بجبال تغطيها عابات وأشجار .

<sup>1</sup> نصيرة زوزو: بناء المكان المفتوح في رواية طوق الياسمين (مقال)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيصر ، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن 21 نوفمبر 2012، ص 23.

<sup>2</sup> أحمد حمادي: حفاة على الجمر، ط1، دار الشافعي للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019، ص 23.

ووردت أيضا في قوله: «خالتي زكية ليست من أهالي ريش ليو... مجيئها فجر الثورة بين نسوة القرية».<sup>1</sup>

فهي بالنسبة إليهم غريبة لأنها ليست من أهل القرية، لكنها حين تزوجت أنت ومجيئها أفشى سر الثورة بين النسوة.

إليها، وفي موضع آخر وردت لفظة القرية عندما تحدث عبد الرحمن مع صديقه ورافقه إلى مكان يجتمعون فيه بعض الشباب، يقول: «بيت مهجور ترفع فيه الأقلام كل ليلة. تلتحم فيه خيبة شباب ريش ليو ممن يعيشون تحت قرميد الفقر».<sup>2</sup>

إنه مكان مشبوه يجتمع فيه شباب القرية الفقراء يشربون الخمر لنسيان همومهم وفقيرهم هناك، يذهب عقلهم ويضيع ووقتهم بحلول الشهر الفضيل قرر عبد الرحمان التوبة لكنه كان يخجل لعدم معرفته بالوضوء الأكبر وكان يتذكر كلام جده حين قال: «الناس في ريش ليو يتكروا الله في رمضان، وينسونه بقية الشهر».<sup>3</sup>

و فإن أهل القرية لا يتذكرون ولا يتقربون من الله إلا في الشهر الفضيل وبقية الشهر يغفلون عن أداء العبادات.

كان الراوي لا يفهم لغة أخرى إلا لغته العربية كما هو حال سكان القرية وجاء ذلك في قوله: «لا أفصح جهلي بلغة غريبة يمهد أهل القرية ناطقها».<sup>4</sup>

كان أهل ريش ليو يقدرّون من يتكلم لغة غير لغتهم، ويرونه سيّدا ذو قيمة بمجرد أنه يتكلم لغة عربية لا يفقهونها، لكن عبد الرحمان ابتعد وهرب لكي لا يفصح نفسه لعدم فهم اللغة، وعندما تزوجت حسبية أخته تمنّت أن تتجب فتاة بجمال ناريمان لكنها لم تتجب وطلقها زوجها وثررت حولها النسوة، وجاء ذلك في قول الراوي: «عددت نسوة القرية عيوبها في عرس بلال بعد شهرين ونصف الشهر... تكلم أهل ريش ليو عن ابنة عبد الحفيظ مقراني...».<sup>5</sup> أن نساء القرية تحدثوا عن حسبية بعد طلاقها وثرثروا حول عيوبها.

<sup>1</sup> الرواية، ص 33

<sup>2</sup> الرواية، ص 69

<sup>3</sup> الرواية، ص 78

<sup>4</sup> الرواية، ص 116

<sup>5</sup> الرواية، ص 49

فالقرية بلدة صغيرة منعزلة على أحد الجبال أو السهول البعيدة الشاسعة تنتمي إلى أحد المدن المجاورة، يسكنها أناس عاديون بسيطون أغلبهم فلاحون أو أصحاب أراضي زراعية يعيشون حياة متواضعة بمعدات بسيطة، قد نجد أنهم لا يملكون الكهرباء والماء والغاز فيعتمدون على الشموع للإدارة وعلى الحطب والدار من أجل إعداد الطعام.

ويقومون باستغلال حيواناتهم كالدواب والأحصنة من أجل جلب الماء من الآبار والعيون القريبة منهم على الجبال أو الغابات كما نجد أن لديهم مدارس ابتدائية ومساجد بسيطة مقارنة بالمدن، لكن أطفالهم وأداسهم يتمتعون بالطيبة والمعاملة الحسنة لبعضهم البعض فتجد أن الجيران وكل من يسكن القرية كأنهم عائلة واحدة يساعدون بعضهم ويحبون بعضهم رغم حياتهم البسيطة والمعقدة إلا أنهم يفتخرون بعاداتهم وتقاليدهم وتمسكون بمساكنهم وقرينتهم.

ومن القرى تذكر ريش ليو وهي القرية التي ذكرها الراوي في كتابه وقد لا حظنا مدى حب الراوي لقرينته البسيطة التي كانت أحد الأماكن المهمة في التاريخ الجزائري في وجود الاستعمار الفرنسي، على الرغم من أنها قرية بسيطة متواجدة على أحد التلال الخصبة إلا أنها كانت لها مكانة مهمة في أيام الاستعمار فمن هذه القرية خرج شجعناها وابطالها وفجرت ثورة ضد المستعمر مثلها مثل باقي نواحي الوطن على الرغم من الفقر والتشرد الذي كان له أثر كبير على شبابا لقرية، فمنهم من تأثرت نفسياتهم بهذه الحالة المزرية أدى بهم إلى طريق منحرف فتبعد على المسجد والعبادات ومسلكوا طريق أدى بهم إلى شرب الخمر والكسل والخمول النسيان همومهم تحت سطح المنازل القرميدية.

وقرية ريش ليو مثلها مثل باقي قرى الوطن استطاعت أن تخرج من تحت جناحها شبابا ناجحين مثقفين مثل الراوي عبد الرحمان المقراني، الذي يمتلك شجاعة كبيرة وثقافية عالية واستطاع أن يذكر قرينته في كتابه هذا بكل سلبياتها وإجا بيئاتها.



2- الحديقة:

وهي الأمكنة الهادئة التي يقصدها الناس لقضاء وقت جميل، والترفيه عن النفس والالتقاء بالأحباب "وتعدمن الأمكنة العامة المفتوحة يرتادها الناس، لتمضية وقت الاستراحة، والتمتع بأشجارها وأزهارها وحشائشها الخضراء، والركون إلى الهدوء النفسي والراحة"<sup>1</sup>.

إذا الحديقة مكان يقصده عامة الناس لتمتع بطبيعتها الخلابة والالتقاء بالأصدقاء والأحبة، وقد وردت في الرواية في قول الراوي: « عاد طائر اللقلق... استقرت سيقانه الرفيعة على عشه القديم فوق أم التمرة، تسمية جدي لنخلة المسنة في حديقتنا»<sup>2</sup>.

عاد الطائر إلى عشه الموجود في حديقة الجد بعد هجرته السنوية واستقر هناك في النخلة وكان للحديقة أسوار وبوابة أيضا إنها حديقة المنزل الذي يسكنه عبد الرحمان، كما وردت لفظة الحديقة في قول الراوي: « صحيح أن قفزة بسيطة على سور الحديقة كسرت عظامي مرتين، لكن انهيار قوس قدامي أعفاني من الخدمة العسكرية»<sup>3</sup>.

في كل مرة يقفز فيها من سور الحديقة ينكسر رجله وهذا ما جعله يعفى من الخدمة العسكرية.

كما وردت الحديقة في الرواية يقول الراوي: " اجتماع محلي كان قد نقل إلى أراضي الحديقة"<sup>4</sup>.

أي أن كبار القرية اتفقوا على وجود اجتماع في الحديقة رغم أن الجو كان ممطرا، وبما أن الحديقة تعتبر مكان الانتظار ولقاء الأحبة فكل مرة كان الراوي يذكر لنا بوابة الحديقة التي يقف عندها أهل المنزل للقاء أحدها وذلك مثل ما ورد في قول الراوي: « عندما تخطيت شميصة، أتبع ما تبصر، كانت نادية عند بوابة الحديقة، دون المكنسة»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص 53

<sup>2</sup> الرواية، ص 46

<sup>3</sup> الرواية، ص 128

<sup>4</sup> الرواية، ص 160

<sup>5</sup> الرواية، ص 170

نادية لم تكن اليوم أمام بوابة الحديقة تكنس لكنها كانت تنتظر ابنتها داريمان فلقد أحست أن مكروها قد أصابها وقد لاحظ عبد الرحمان انها قلقة متوترة وخائفة على ابنتها. يقول الراوي أيضا "عند بوابة الحديقة يرد النبأ، ولكن لا فكاك".<sup>1</sup>

هنا عرفت نادية أن ابنتها لم تعثر عليها بعد، فلقد عاينت الأم أباها من بعيد وهو فارغ اليدين كان كل خوفها أن تكون الإرهابيون قد قتلوا ابنتها.

وفي موضع آخر ذكرت الحديقة على أنها مكان هادئ ووردت في قوله: « أيقظتني زقزقة الدوري في الحديقة». <sup>2</sup>

إن العصفور الموجود في حديقة المنزل هو الذي أيقضه من نومه ذلك الصباح. التوتر والضيق غالبا ما يصاحب الناس في حياتهم اليومية ونجد أنهم يتجهون إلى أماكن هادئة حتى ترتاح نفسيتهم وأول مكان يخطر على البال هو الحديقة، المكان الوحيد الذي نحس بالاطمئنان والراحة عند الذهاب إليه فمساحتها الخضراء وهوائها النقي يشرح الصدر ويبعث الهدوء والارتياح لنفس، سواء إذا كانت حديقة المنزل أو حديقة عمومية، الاخضرار والجمال فيها يبهر العين والهواء النقي يصفى الروح والرئتين وسماع صوت الطبيعة والشجار والعصافير أي أن أغلب الناس يتجهون إلى الحديقة للهدوء من الضغوطات الحياة، فيذهبون فرادى أو مع عائلاتهم أو أصدقائهم، فنجدهم يقومون بتمارين رياضية على عتبا الأخضر المريح، ونجد الأطفال يلعبون فيها وبالتربة التي تريح نفسيتهم، وقد ذكر الراوي في كتابه حديقة منزله بالرغم من بساطتها إلا أنه تأثر بها وتركت في نفسه أثرا جميلا وذكرى رائعة.

### 3- الحوش :

من منا لا يعرف هذه الكلمة البسيطة والجميلة، وهو من الأمكنة المفتوحة ويوجد في البيوت الريفية والفقيرة، وتكون هذه الأحواش ترابية مكشوفة من الأعلى وهو مشهور عند كل الشعب الجزائري، فهو يميز البيوت القديمة فتجد أن لكل بيت ريفي حوش صغير أمام بابه، يقوم أهل البيت الاستعماله لعدة أعراض، فيضعون فيه المؤونة الجافة ونجد منظره جميلا

<sup>1</sup> الرواية، ص 179

<sup>2</sup> الرواية، ص 216

ونظيفا، وقد ورد هذا النوع من الأمكنة في الرواية في قوله: « منزل صديقي عبد الله لم يكن سوى حوش ينتهي إلى عرفتین من الطين والقش»<sup>1</sup>.

إن منزل الصديق منزل فقير فيه عرفتین وفي نهايته يوجد الحوش الترابي كما ذكر لفظ الحوش في قول الراوي: « مخلفات حزم الثوم المعلقة على الجدار الشمالي، تتشقلب في النسمة»<sup>2</sup>.

إذ يعتبر الحوش مكانا لوضع الأشياء والأطعمة الجافة والأدوات البدائية المنزلية البسيطة، حيث كانت بقايا الثوم تتشقلب في ذلك الحوش مع الهواء، كما يعتبر مكانا يجلس فيه لأنه فناء بالنسبة لأهل الدار، وكانت نسمات الهواء لا تزال موجودة فمخلفات الثوم لا زال يهزها الريح ويضعها يقول:

«وربقات الثوم في الحوش تأمل أن تستقر»<sup>3</sup>.

أي أن الريح يلعب ببقايا الثوم ويلوح به إلى هنا وهناك في ذلك الحوش، فالنسبة لأصحاب الأرياف هو مكان الراحة والأمان ولعب الأطفال فهو فناء الدار ومنطقة محمية لكل بيت كما ذكر الراوي في كتابه " حوش بيت صديقه البسيط".

#### 4- الجبل :

فهو كتلة ضخمة من الصخور متراسة ومتشابكة ببعضها ويكون مرتفعا عن الهضبة، وهو من المكملات الطبيعية وتوازن الكون فتجد فيه عابات كثيفة وحيوانات برية مختلفة وله فوائد جمة في حياة الإنسان خاصة الفلاح لأنه يساعده على الحياة الريفية والزراعية نظرا لخصوبة تربته وكثرة المياه والشلالات والرطوبة فيه يقصده السياح والجبال: " تعد مظهرًا من مظاهر الجمال في الطبيعة، إذ خصها سبحانه وتعالى بوقار وهيبة وشموخ»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الرواية، ص 160

<sup>2</sup> الرواية، ص 96

<sup>3</sup> الرواية، ص 97

<sup>4</sup> حسين علي عبد الحسين الدخيلي، القصاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين، ظل، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص 39

وقد ورد الجبل هي هذه الرواية في قول السارد: « كنت وقتها أزرع وأحصد، وأنقل الزاد إلى المهاجرين في جبل المديوس».<sup>1</sup>

أي أن الجد يحكي لحفيده كيف كان وقته، ينقل الزاد والمؤونة إلى الثوار في قمة الجبل، كما وردت هذه اللفظة في قول السارد عبد الرحمان: «من أنا لأسلم من موت العسكر فوق الجبل؟ متى سأموت؟».<sup>2</sup>

كان عبد الرحمان يتساءل عن موته كان خائفا من الحقيقة، أن يأتي يوم ويغادر هذه الحياة فهو مثله مثل أي إنسان أو عسكري في الجبل الذي يهدده الموت لكنه أصيب برصاصة في كتفه ظن أنه لن ينجو منها وسوف تؤدي به إلى الموت وجاء ذلك في قوله: «اقطع من الراحة شطرا آخر أمسد به جرح رصاصة الجبل...»<sup>3</sup>

أي أنه أخذ وقتا كافيا من الراحة وارتاح جرحه من الرصاصة التي أصابته عندما كان الجبل، كما وردت أيضا كلمة الجبل في قوله: « يردف أبي، وتسمع طلقا داريا... طلقتين... ثلاثا إلى الجبل تصير حواسنا».<sup>4</sup>

أحسوا أن الطلقات التي يسمعونها آتية من الجبل فالصوت يأتي من ذلك المكان، فيما أن المنطقة منطقة إرهاب والجبال مليئة بالمجاهدين بات كل أهل القرية على أعصابهم بخاصة عندما كانت الطفلة داريمان مفقودة، لقد ظنوا أن الإرهاب قد قتلها.

وورد أيضا في قول الراوي: « اندفع نحو الجبل، لا توقفني النصائح ».<sup>5</sup>

أي ينطلق إلى الجبل للبحث عن الطفلة المفقودة لم يتوقف لأنهم منعه من الذهاب إلى هناك لوجود الحيوانات المفترسة وكذلك الإرهاب فضميره هو الذي جعله يذهب دون النظر إلى الخلف رغم أن الجبل مكان شاسع ومليء بالأشجار ومن الصعب أن يجد الفتاة وحده.

<sup>1</sup> الرواية، ص 31

<sup>2</sup> الرواية، ص 135

<sup>3</sup> الرواية، ص 156

<sup>4</sup> الرواية، ص 180

<sup>5</sup> الرواية، ص 185

لأن الجبل مكان خطير ومليء بالحيوانات المفترسة وأشجار كثيفة وغابات واسعة وصخور وتلال وهضاب وهو ذاهب لا بد أن يرافقه أهل الاختصاص من طرف محافظ الغابات حتى لا يضيع أو يحدث معه مشكل أو حادث أثناء عملية البحث. ويعتبر الجبل مكان معادي لأن الراوي يعيش فيه عدة صعوبات فكان يشعر بالضيق والتعاسة.

#### 5- الشارع :

يعتبر الشارع من الطرق العامة وهو جزء من المدينة، يتحرك من خلاله الشخصيات وتنتقل: « فالشوارع تعتبر أماكن انتقال ومرور نموذجية فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحاً لعدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها».<sup>1</sup>

إذا الشارع مكان للعبور والسير وهو ممر للانتقال يشهد دائما حركة مستمرة فعن طريقه ينتقل الناس إلى عملهم أو منازلهم وقد وضعه المؤلف كمكان مفتوح في الرواية ووردت في قول الراوي : « أهيم في شوارع ريش ليو، تلك المعبدة فقط على أوراق المقاولين».<sup>2</sup> أي أنه يتجول في شوارع قريته الممهدة، ثم ذهب عبد الرحمان ولا يدري إلى أين فقط هو يريد أن يصل إلى المكان الذي نجد فيه ابنة أخته وقد ذكر ذلك في قوله: « كل ما أريده هو الوصول لا أدري إلى أين أجوس الشوارع عجولا».<sup>3</sup>

إنه لا يعلم المهم كان يبحث في الشوارع وهو في عجلة من أمره مسرعا لينهي الأمر الذي يقلقه.

وفي موضع آخر ذكر الراوي الشارع كمكان مفتوح أيضا وعبر عليه بطريقته، يقول: «أستأنف المطر، يحمم الساحات والشوارع تلك الساعة المتأخرة من الظهيرة».<sup>4</sup>

فعندما بدأ المطر بالهطول تبللت كل الطرق والشوارع واختفى الناس وعادوا إلى ديارهم وبقي وحيدا في الحي ينظر إلى السماء، وأخيرا التفت داريمان الطفلة التي أدخلت الرعب

<sup>1</sup> حسن بحراري : بنية الشكل الروائي ، ص 79

<sup>2</sup> الرواية، ص 63

<sup>3</sup> الرواية، ص 170

<sup>4</sup> الرواية، ص 173

إلى قلوبهم عند اختفائها وكانت بصحة جيدة وحين زارها الطبيب طمأنهم عليها وقد ذكر لنا عبد الرحمان شعوره في قوله «أهرع» إلى أنور السادات، لا أدري أي شعور ألبس! حين صرت على مشارف الشارع سمعت صيحة نادية...»<sup>1</sup>.

فعند ذهابه إلى إحضار الطبيب كانت السعادة تغمره لا يعرف كيف يصف شعوره، وعندما اقترب إلى بداية الحي سمع صوت أخته نادية ورأى الأهالي يلتحقون إلى منزلهم الرؤية الطفلة وهم فرحون بها، كان السلام والأمن موجودون في القرية قبل أن يحتلها الإرهاب والمستعمر لكن في الأونة الأخيرة صار السلام شبه منعدم في أحياء وشوارع ريش ليو وهذا ما ذكره الراوي في قوله: " تعودنا القتل، وبقع الدماء في الشوارع أصبح جزءا من أيامنا".<sup>2</sup>

فهم تعودوا على الموت المفاجئ الذي يأتي من رصاصة العدو الذي يملئ شوارعهم بدماء الأبرياء اصبح الرعب والخوف والقتل والاعتداء جزء من حياتهم اليومية، لا يخافون من القضاء والقدر فالموت علينا جميعا لكن مالا يحبذونه هو طريقة موتهم بالقتل والغدر، مات كبار القرية ورحلوا إلى دار الحق وأغلقت الدكاكين من أجل الذهاب إلى جنازتهم وذكر الراوي كيف كانت شوارع ريش ليو فارعة من أداسها يقول: « كأن الدنيا قد خلت من نسل آدم؟ الشوارع خالية! ».<sup>3</sup>

يستفهم عبد الرحمان مندهشا حين يرى الشوارع خالية من البشر، كأن لا وجود لهم في هذه الدنيا يتحسر لموت الكبار فذهابهم أخذ كل شيء معه، الحشمة والديف والرجولة. هو مكان عام ليس تابع لأحد فيه الطرق والممرات التي ينتقل عبرها الناس والحيوانات فهو غير محدود ببداية ونهاية تجده مفتوح ومربوط بعدة أمكنة، ويربط عدة أماكن وقرى ومدن ببعضها ليسهل النقل والتنقل، كما أنه مكان غير آمن في الليل فكثير فيه السارقين واللصوص والمتشردين ويكون هادئ على العكس في النهار يشهد حركة واكتظاظ.

<sup>1</sup> الرواية، ص 193

<sup>2</sup> الرواية، ص 212

<sup>3</sup> الرواية، ص 223

## 6- فرنسا:

تمثل فرنسا احدى البلدان المستعمرة للجزائر والتي استنزفت ثرواتها وسيطرت على أراضيها وممتلكاتها، وهي من الأماكن المفتوحة على العالم وذكرت في الرواية يقول الراوي: "ثلاثون سنة مرت منذ انطلاق أول رصاصة تعلن الثورة على فرنسا"<sup>1</sup>.

أي مرت الأيام والسنين منذ اندلاع الثورة الجزائرية وكانت أيام صعبة وحقيقية مر بها الشعب الجزائري، كما ورد في قول الراوي: « فرنسا ورثتنا الجهل بلغتنا»<sup>2</sup>.

أي أن المستعمر عمل على طمس اللغة العربية الفصحى وعلق المدارس من أجل تجهيل الأطفال وابعادهم عن دينهم وثقافتهم ولغتهم، لكن شعب الجزائر عمل جاهدا على إحياء لغته لغة القرآن، وقد طرح سؤال من طرف أحد الأشخاص حول مصير فرنسا قال: ماذا لو صرنا دولة إسلامية عظيمة وعزونا فرنسا»<sup>3</sup>.

أي أنه يتساءل إذا أصبحت الجزائر دولة كبرى واستعمرت فرنسا كيف يكون مصيرها؟ هل ستفعل بها كما فعلت هي بالدول الأخرى؟ هل ستدمر وتقتل وتشرد شعبها؟ يذكر الراوي قول جده عن فرنسا: «جدي كان يخبرني محزوناً، يذكر من عايشوا استبعاد فرنسا»<sup>4</sup>.

كان الجد حزينا عندما يتحدث عن فرنسا وما فعلته بشعبها وكيف عذبت شعب الجزائر واستبعدته وحاصرته في الذل والإهانة.

لقد كانت فرنسا مكان معادي لأنها مارست كل الأفعال التعسفية ضد الجزائريين.

فرنسا دولة أوربية من قارة أوروبا ، وقد كانت مشهورة بقوتها واقتصادها وسيطرتها على الدول النامية، فهي كانت مستعمرة لبلدنا الحبيب الجزائر لمدة طويلة قرن وثلاثون سنة، استبعدت فيه الشعب الجزائري واستنزفت ثروات البلاد وممتلكات الشعب واذقتهم وبيل الوجع والألم والعذاب والفقر والتجهيل، ونشرت ثقافتها الغريبة في الوطن الحبيب وطمست هويته

<sup>1</sup> الرواية، ص 27

<sup>2</sup> الرواية، ص 88

<sup>3</sup> الرواية، ص 88

<sup>4</sup> الرواية، ص 213

ولغته وغرست قيمها ولغتها بين الشعب، حتى تمكن أبناء الوطن أخيرا من مقاومتها ومحاربتها واندلاع الثورة حتى تمكنوا من تحقيق الاستقلال وطرد فرنسا من الجزائر واستعادت الجزائر قيمتها وهيئتها ومبادئها ولغتها.

#### 7- المقهى:

هو مكان اجتماعي يلتقي فيه الشباب والرجال من مختلف الأعمار ويعتبر « مكان انتقال خصوصي، بتأطير لحظات العطلة والممارسة المشبوهة التي تعتمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة».<sup>1</sup>

إنه المكان لقضاء الوقت والالتقاء الأصدقاء من أجل الفضفضة حول هموم الحياة، وقد وردت للفظة المقهى في الرواية في قول الراوي: «أعرج على مقهى الفجر، أوسع نفسي أغر زنجبيل... حاقدة النظرات أجدها من يوم نبتت عصا البندقية خلف ظهري».<sup>2</sup>

فعندما ذهب عبد الرحمان إلى مقهى الفجر لاحظ نظرة الناس إليه تلك النظرة الحقدة التي بدأت منذ أن حمل البندقية على ظهره ثم يجري حديث بين أب الرحمان وأصدقائه، ويريدون المناقشة في موضوع ما « ومقهى الفجر مناسب، لا يجب أن يسمعي الفرنسي».<sup>3</sup>

لقد وجدوا أن مقهى الفجر هو المكان المناسب لحديثهم وهو المكان الذي انفقوا أن يجتمعوا فيه من أجل التحاور بعيدا عن مسامع الفرنسيين.

وفي موضع آخر ذكرت المقهى في قول الراوي: « كسالى المقهى استرجلوا رموني خارجا بعد أن ارتقيت فوق طاولة الحساب، أدعوهم أن يهجرُوا البيجة وفناجين الخدر».<sup>4</sup>

لقد تم طرده من المقهى عند محاولته تقديم النصيحة لبعض الشبان بالابتعاد عن المشروب الغازي.

<sup>1</sup> حسن البجراوي: بنية الشكل الروائي، ص 91

<sup>2</sup> الرواية، ص 140

<sup>3</sup> الرواية، ص 160

<sup>4</sup> الرواية، ص 253

المقهى اشتقت تسميته من القهوة، لأن الأغلبية يقصدونه لشرب القهوة والتواصل الاجتماعي مع الأصدقاء والأحباب ومناقشة شتى المواضيع المختلفة لقضاء الوقت والترثرة والخروج من ضغوط الحياة العملية والهروب من روتين العمل والمنزل فتجده مكان اجتماعي به عدة طاوولات ونادل القهوة فقط تستطيع الجلوس فيه لعدة ساعات، وقد كان المقهى له أهمية كبيرة في حياة البعض في وقت الحرب، حيث فيه كان يلتقي الشباب والشخصيات الثائرين لمناقشة أخبار الوطن والحرب وقراءة الأخبار على الجرائد وكذلك لمشاهدة مباريات كرة القدم، فهو مكان كثير الحركة والأحاديث المختلفة تسمعها هنا وهناك من الشيوخ وشباب والأطفال كل يتحدث حسب موضوع خاص به.

إذا المكان المفتوح هو عبارة عن مكان خارجي يكون في الهواء الطلق غير محدود وهي أماكن تتجلى فيها الحركة يتمتع فيها الفرد دون قيود فهي أماكن متاحة للجميع ولهم الحق في التجول وتمتع بطبيعتها فكل مكان له ميزته الخاصة حيث تكون هذه الأماكن شديدة الانتماء إلى مجموعة كبيرة من الناس والعكس في انتماء الناس فيها، وهي مفتوحة من جانب واحد شرط أن تكون مفتوحة من الأعلى، وأن هذا الانفتاح يعطي خصوصية كبيرة في داخل الشخصية من خلال إضافته الارتياح على روحها، على الرغم من الحزن الذي يصيبها بفضل الظروف الطارئة، وتدخل ضمن الأماكن المفتوحة الطرق والأسواق والحدائق والمدن والضواحي والبساتين والصحراء وساحات الحروب وغيرها...<sup>1</sup>

إن هذه الأماكن تضم كل الكائنات بما فيها الإنسان فالمكان يرتبط بالفرد ارتباطاً وثيقاً، وهذه الأماكن تكون مفتوحة من جميع الجهات إذ تمنح الراحة والطمأنينة للأفراد على الرغم من الحالة النفسية التي تصيبه في حياته.

<sup>1</sup> فهد ضحى علي، علي أحمد با كثير وأدبه النثري - رواية تاريخية نموذجاً - دراسة فنية، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية بغداد، 2011، ص 190



### ثانيا: الأمكنة المغلقة.

تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا في الرواية، لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، فتعطي لراوي المادة الأساسية لصياغة عالمه الحكائي حتى أن هندسة المكان تساهم في تقريب العلاقات بين الأبطال والقراء<sup>1</sup>، فتكون هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والأمال والترقب وحتى الخوف والتوجس وتوحي في الوقت نفسه بالراحة والأمان.

تتصف هذه الأماكن بالمحدودية بحيث أن الفعل لا يتجاوز الإطار المحدود كالمنزل، الغرفة السجن... وهي عكس الماكن المفتوحة التي لا تحدها حدود.

#### 1- المنزل :

هو أحد الأماكن المغلقة، تحده حدود هندسية تفصله على العالم الخارجي<sup>2</sup>، فهو المكان الذي يعيش فيه الراوي كل الأحداث السعيدة والحزينة وذلك في قوله: " وجبة الغداء في منزل عبد الله مراكشي تكون في حدود منتصف النهار، ذكريات طفولتي التصفت، على نحو ما، بجدران العائلة الكاملة التي حظي بها عبد الله مراكشي، الجزء المفرح منها، ينتهي الحلم لحظة يعود إلى البيت، أحرص على مغادرة الكوخ قبل حضور (الذي لا أحب ذكر اسمه)"<sup>3</sup> نلاحظ من خلال القول أن المنزل مكان مفتوح خرج من طبيعة المغلق إلى المفتوح ويذكر الراوي منزلين، الأول بيت آل مقراني الذي هو بيته في قوله: « نحر أبي نعجة إكراما للضييفة زرعت العائلة حول طاولة الزان الفرنسية في بهو الطابق... في سابقة لم يشهدها آل مقراني من قبل »<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حمد لحميداني، بنية النص السردي ، ص 72

<sup>2</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان ، ص 38

<sup>3</sup> الرواية، ص 16

<sup>4</sup> الرواية، ص 52

والمنزل الثاني، بيت آل حملاوي: « كانت تعلم العداة العتيق بين الأسرتين، علمت حسبية ما ينتظرها في منزل آل حملاوي عاندت رغم ذلك وما شأني بعائلته، لن أتزوج أمه وأخته»<sup>1</sup>.

فمنزل آل حملاوي هو التي ستترف إليه حسبية رغم العداة الذي بين الأسرتين لكن هذا الزواج لم ينجح لأنها عاقر فطلقها زوجها فعادت إلى ديارها ويتجلى ذلك في قول: « لم تتجب حسبية أبدا. طلقها البلوطة في الثاني من شهر شباط عام 1992، اتهمت حماتها نواراة بالعمق... تكذبت عائلتي خسارة الشرف، تكلم أهل ريش ليو عن ابنه عبد الحفيظ مقراني... عادت حسبية إلى المنزل»<sup>2</sup>.

سرد حدث طلاق أخته ومدابزة حماتها لها بعدم إنجاب الأطفال، وأن هذا الأمر أخل بشرف عائلته.

المكان المغلق الاختياري " هو الذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي، ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة في فضاءه، لذا فالشخصية تسعى إليها بإرادتها"<sup>3</sup> أما المكان المغلق الإجباري هو " مكان محدد المساحة ويتصف بالضيق، وهو فضاء طارئ ومفارق للمعتاد"<sup>4</sup>.

هذه الأماكن تفرض على المرء أو يكون مجبر على البقاء فيها.

إن المنزل في الرواية يتحول من مكان اختياري إلى مكان إجباري وذلك بسبب مرض البطل فهو لا يستطيع الخروج منه وإنما ملزم بالبقاء فيه حتى يشفى ويقول في ذلك: «أركب موجة تفكير أبعدتني عن الغرفة، لأن لا شيء يعلمه المريض غير ذلك! عندما يجبرك عجزك على ملازمة المنزل، لا شيء تفعله غير مد جسدك على الأريكة وإعادة حياتك إلى الخلف حتى تصدمك ذكرى مؤلمة»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الرواية، ص 48

<sup>2</sup> الرواية، ص 49

<sup>3</sup> مهدي عبيدي، جماليات المكان، ص 47

<sup>4</sup> سمر روجي الفيصل، السجن السياسي في الرواية العربية، ط2، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1944، ص 60

<sup>5</sup> الرواية، ص 156

فالبيت بوصفه فضاء مغلقا يعتبر المكان الأكثر أمانا لأي إنسان، فهو رمز لراحة والأمان والاستقرار، يقينا من برد الشتاء وحر الصيف ويتجلى ذلك في قوله: «جانتان... جادتان فقط تفصلاني عن المنزل حيث الأمان، حيث تنام لوسيندا، أقترب، أكاد أصل»<sup>1</sup>. لكن البيت ليس دائما مصدرا لراحة والأمان، قد يكون عكس ذلك وفي الرواية يتعرض عبد المؤمن لضرب والإهانة وحرمانه من الأكل يقول الراوي: «الصبي الذي لا تشفى ركبتاه من الجروح كاد في السابعة من عمره أن يحرق منزله بعقب سيجارة. يقول أبي أن والده بهلول، وتقول عليمة أن زوجته تغلبه تضرب ربييها بالكرافاش، تحرمه الزاد، تقفل الثلجة بمفتاح تنسه في عبا الضخم لا يعني له البيت شيئا رنته الشوارع، عبد المؤمن شرس كديك المزابل»<sup>2</sup>.

يلحظ أن الراوي هو الآخر يهرب ويفر من المنزل بسبب شعوره بالعجز وعلبة الأحاسيس الحزينة التي تملأ قلبه بسبب حالة الحاج بودالية فيقول: «أحس الرأس موضع القدم، والقدم مني بخار، الغصة في حلقي حجر ملح يذوب بمزاجه أنسى لاحقي، ادرك منزلة التلة ورائي اجرجر العيب... في جوفي لا رغبة في ولوج المنزل، لا مكان آخر أقصده، يخمرني حال الحاج بودالية، أتم طريقي صعودا»<sup>3</sup>.

إذا فالبيت في الرواية يحمل عدة دلالات بحيث يرتبط بالإنسان ارتباط وثيقا إذ جسدت في الرواية معان مختلفة ومختلطة بين الأمن والأمان والخوف في نفسه الراوي والشخصيات ويمكن تصنيف المنزل ضمن المكان الأليف لأن الإنسان يعيش ويتعرع داخله فيصبح مكان حديني يحمل كل الذكريات.

## 2- الغرفة :

تعد الغرفة من الأماكن المغلقة، وهي أقل حجما من البيت لأنها جزء منه، فالغرفة تتميز بالخصوصية والحميمية فهي تحفظ ذكريات الإنسان وتتضمن تفاصيل حياته»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الرواية، ص 131

<sup>2</sup> الرواية، ص ن

<sup>3</sup> الرواية، ص 122

<sup>4</sup> حفيظة أحمد، بيت الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية ، ص 134

كذلك هي مكان مغلق ومحدود مقارنة بالأماكن الأخرى المغلقة وقد ذكر الراوي في مطلع روايته الغرفة وذلك بغية وصف منزله: «أرسل بصري، ينسل إلى داخل عرفة أبي، بدوت جسدا هامدا على الرواق الذي تشغل جوانبه أربع غرف نوم تنتهي إلى شرفة تطوقها قضبان حديدية».<sup>1</sup>

لم يصف البطل عرفة جده يقول: «شرفة جدي ماض مع فم مزموم وسبابه في أملك وحدي تسريح عبور العتبة... لكنه ملأ الحائط الأيسر وجوه الشهداء الثورة الجزائرية أسماء جعلني أحفظها، أعرف بطولاتها... يخاطبني: «يجب أن تدعو لهم في أ الهواء، صلاتك، رجال حقيقيون، أدع أيضا لهواري بومدين، ولا تنسى جمال عبد الناصر».<sup>2</sup>

يصف ما تحتويه هذه الغرفة من صور الشهداء الأبرار، وتاريخ الجزائر العريق، وأنه هو الوحيد الذي يملك الحق في دخول تلك الغرفة.

ويقول أيضا: «بدأ الظلام يهطل لتلك الأمسية، لم تفهم القيامة، كنت في عرفة جدي عندما كاد أحدهم يحطم باب الترفة».<sup>3</sup>

كان البطل ينتظر قيام الساعة في غرفة جده لأنه سمع الأستاذ حيدر يقول: تقوم الساعة وقت العصر من يوم الجمعة، لكن ذلك لم يحدث، يمكن القول بأن جل الأحداث السابق ذكرها كانت من عرفة الجد وهذا دليل على حب الراوي لجدته وحب ولوجه الغرفة والبقاء فيها مدة من الزمن. ويذكر الكاتب في بداية فصله السابع عرفة أخ عزيزة والتي تكون هذه الأخيرة متواجدة داخلها تكتب له، رسائل غالبا ما تكون نهايتها التمزيق ويتجسد ذلك في قوله: «عزيزة في عرفة أخيها المهاجر، تخط لي مكتوبا ... آخر سأمزقه».<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الرواية، ص 20

<sup>2</sup> الرواية، ص 22

<sup>3</sup> الرواية، ص 43

<sup>4</sup> الرواية، ص 107

لم يضيف عرفة لوسيندا ودخوله عليها دون استئذان إذ تعتبر لوسيندا عدوة لأخواته وللوطن، لكنه ضعف أمامها ويظهر ذلك في: « أفر من رواق في رأسي، أرى فيه جعفر، فالج عرفتها، أستحضر قوام لوسيندا وينزلق الحنك إلى الترقوة، لا أضعف وتلك سابقة»<sup>1</sup>. ويقول أيضا: « أهجي كلمات عزيزة بدت حازمة أفزعنتي، أحس الندم، أتسع في اتساع الحدقة يسخن خدي... أنساني قرب عرفة لوسيندا من مخدعي ، حقيقة وجهي، احتقرت إنسانا من ضلعي، وهب لي كرامته»<sup>2</sup>.

فيشعر بالندم على ما فعله مع لوسيندا ويتحسر على فقدان عزيزة.

وكذلك للغرفة مهام أخرى، فهي مكان تحفظ فيه الأسرار وموضع للحرية الفردية من خلال تصرفات الفرد داخلها ويظهر ذلك في قول الكاتب: «عندما أنبأني الطبيب بقرب أجلي، كان ينشف أنفه السائل بخرقة قماش يتتهد يخاف الزكام. أعلقت علي باب الغرفة. لا أبكي جعلت أشاجر الله أسأله (لم أدا؟ لم يتغير شيء من وقتها، الموت يتعجل دفني قطعة قطعة»<sup>3</sup>.

الراوي يعاتب نفسه بعدم البكاء وإخفاء مشاعره الحزينة وغضبه من قدر الله

كما تعتبر الغرفة مكانا للهروب من العالم الخارجي، إذ أن وظيفتها لا تقتصر على كونها مكانا لراحة والهدوء فحسب بل تعدته إلى حمل الكثير من الذكريات وتذكرها في قوله: « فضح جعفر نفسي أرقني أياما أزرها وسواس السمع ألحت مام زكية، تريد فهم سر اعتكافي في الغرفة... عله الزاد الذي لم يلج بطني تسعة أيام»<sup>4</sup>.

ثم يخرج البطل من الصراع الداخلي الذي يعيشه في غرفته وشعوره بالهدوء واختفاء الصوت الذي كان في رأسه ويريد مشاركة همومه مع مامة زكي، يقول: « يشبع الفرج ، ميسمي أهجر الغرفة، أريد تقاسم الغبطة مع ماما زكية»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الرواية، ص 161

<sup>2</sup> الرواية، ص 162 - 163

<sup>3</sup> الرواية، ص 131

<sup>4</sup> الرواية، ص 215

<sup>5</sup> الرواية، ص 217

وللغرفة في الرواية عدة دلالات مختلفة وهي كبادرة للتاريخ وحفظ الذكريات، وليست مجرد مكان يقده الأشخاص وينامون فيه إنها المكان الوحيد الذي يشعر فيه الفرد بالراحة والتفكير بحرية واتخاذ القرارات.

### 3- الدكان:

يظهر الدكان في الرواية على أنه المكان المحبوب المؤلف والمضل عند عبد الرحمان ويصف الطريق الذي يسلكهم تخطيا كل الأماكن ليصل لدكان يقول: « أتخطى منزل آل موساوي، ومخبزة سليمان الأعمى، أصل الدكان الحاج بودالية... مع بعض الحلوى في جيبتي، وفرحة أمنعها جعل شفتاي تتبسطان».<sup>1</sup>

شعوره بالسعادة بمجرد أشياء بسيطة تمثلت في بعض الحلوى.

وفي موضع آخر كثرت زيارة عبد الرحمان لدكان الحاج بودالية مما أدى إلى فهم طبعه وتصرفاته يقول: «أزور دكانه الصغير على أطراف الحي، أفهمني طبعه: يتحنح الحاج بودالية لتخرس».<sup>2</sup>

ويقول: « ما اقتنيتته من دكان الحاج بودالية في رمضان لابد وأن يشتمل قطعا من الدوقة البيضاء».<sup>3</sup>

يستمر الراوي في التحدث عن الدكان رغم مروره من جانبه فقط إلا أنه يذكره، يقول: « أتجاوز المكان الذي أحبه، دكان الحاج بودالية تقبضني الشائعات: سمعت أنه على فراش الموت... وسمعت.... أبناءه اختلفوا في أمر هدم المحل من بيعه».<sup>4</sup>

حدث أمر مأساوي بالنسبة لعبد الرحمان وهو وفاة الحاج بودالية، وعلق دكانه ثم هدمه من طرف أبدأئه وهذا ما ورد في المقطع التالي: « مات الحاج بودالية بعد أسبوع

<sup>1</sup> الرواية، ص 34 - 35

<sup>2</sup> الرواية، ص 93

<sup>3</sup> الرواية، ص 94

<sup>4</sup> الرواية، ص 114



الجراد الذي اكتسح ريش ليو... تم إقبال دكانه لعدم اتفاق أبدأئه على حصصهم، تم هدمه بعدها... لكنه فرق بين الحقيقة والذكريات داخل رأسي... رحمه الله»<sup>1</sup>.

تأثر الراوي بوفاة الحاج بودالية، وتوغل الذكريات في عقله وشعوره بالحزن عليه والدعاء له.

#### 4- المسجد:

هو دار عبادة المسلمين، وسمي مسجداً لأنه مكان لسجود الله عز وجل، ويطلق عليه اسم جامع لأنه يجمع الناس لأداء صلاة الجمعة فنجد الراوي في أغلب الأحيان يذكر لنا ذهابه إلى المسجد مع جده، يقول: « ذهبت وجدتي بعدها إلى بيت الله لتؤدي صلاة الجمعة. لم أكن قد صليت الفجر بعد ولأخذه، صليتهما مكان ركعتي تحية المساجد»<sup>2</sup>.

لم يصل البطل الفجر وهذا دليل على اللامبالاة، معتقداً بأنه يخدع جده، لكنه يخدع نفسه فقط وتلاحظ شرود ذهنه داخل المسجد، « منتصفهما شهد عياب ذهني عن المكان»<sup>3</sup>. ولم يسرد ما تبقى.

وفي موضوع آخر يقول: « جامع عقبة ابن دافع كان عامراً يقول جدي: « الناس في ريش ليو يتذكرون الله في رمضان وينسونه بقية الشهور .... كلامه في رأسي يخلجني»<sup>4</sup>. وصفة للمسجد بأنه مكتظ وهذا من غير العادة، وبوح جده ببعض العبارات مستهزئاً من الأشخاص الذين يعبدون الله إلا أيام رمضان.

أخرج عبد الله من هذا الكلام وشعوره بالوسواس داخل المسجد. ومن جهة أخرى يذكر المسجد بأنه المكان الذي أخذ إليه الذي لا يحب ذكر اسمه جثة هامدة يقول: « حمل المغدور إلى المسجد، ترافقه، أمه وأخوه وأنفس لا أصل لها ولا منفذ»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الرواية، ص 127

<sup>2</sup> الرواية، ص 42

<sup>3</sup> الرواية، ص 42

<sup>4</sup> الرواية، ص 78

<sup>5</sup> الرواية، ص 45

كان المتوفي رفقة أمه وأخيه فقط وبعض الأشخاص لا أصل لهم، هكذا شيع جثمانه ويلاحظ شعور البطل بالسعادة وفي نفس الوقت شعوره بالسوء، مشاعر مختلطة كانت تراوده يقول: « مات الذي لا أحب ذكر اسمه... طقت فوق فكري ابتسامة... رن الجرس... أنا سعيد... أنا سيء ».<sup>1</sup>

إن الخلافات العائلية غالباً ما تكون سبب في ضياع الفرد وتشنت عقله ما يؤدي به إلى الانحرافات الخلقية وإبعاد النفس عن طاعة الله وهو ما يوضحه قول الراوي: « الخلاف مستمر بين الأب والابن بسبب المرأة الهجالة لكلت بوعدني لا أدخل الجامع بعدها ».<sup>2</sup> في موضع آخر كان البطل في حالة ضياع وعجز وضعف، ثم يختار بيت الله بعد أن هجره مدة من الزمن، داوياً تطهير نفسه من كل الطاقات السلبية، يقول: « ألج بيت الله في الدنس... أويت إلى جامع هجرته، هدني العجز والفرع عيب الحيلة ».<sup>3</sup>

مهما طالت الساعات والأيام، فالعودة إلى الله، فطره، ولا ملجأ ومنجا إلا هو عز وجل. ويقول عبد الرحمان: « أهب إلى الجامع ألحق صلاة العشاء. قرأ الإمام في الركعة الثانية قول المولى عز وجل: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾<sup>4</sup> [المائدة/ الآية 32]

الراوي يذكر أحداثاً وقعت في المسجد تمثلت في قراءة الإمام لبعض الآيات القرآنية وسجوده عند المحراب وهو محبط.

ويقول: « التزمت صلاة الجماعة في وقتها يهف قلبي إلى رفع الفرقان ».<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الرواية، ص 45

<sup>2</sup> الرواية، ص 61

<sup>3</sup> الرواية، ص 177

<sup>4</sup> الرواية، ص 214

<sup>5</sup> الرواية، ص 215

يلاحظ التزامه الصلاة، وحبه لتجويد القرآن، بعد شعوره بعذاب الضمير بسبب فواحش اقترافها، وهي شرب الخمر، ثم قرر التوبة.

وفي موضع آخر يحدد الراوي جزءا من المسجد في قوله: « اتهمه موسيو بشير بسرقة ساعته الذهبية التي نسبها على حوض مائضة المسجد».<sup>1</sup>

اكتفى البطل بذكر الجزء فقط بغية التوضيح للقراء، أن المكان الذي نسيت فيه الساعة هو المائضة وليس مكان آخر، فهو يبتعد عن الغموض.

وفي مقطع آخر يعود البطل إلى ماضيه ذاكرة جزء من المسجد، يقول: « في عمر الرابعة، سقطت : في بئر المسجد، أتذكر زممت فمي لمنع الماء أن يلج... أتخبط في الأمل أن أنجون ثم جاءت تلك اللحظة التي اخترت فيها الهدوء ... لو لا يد مراكشي التي انتشلتني من أحضان الفراق».<sup>2</sup>

يسرد الراوي بالتسلسل أحداثا وقعت له في صباحه داخل بئر المسجد تجلت في مقاومته للماء وإصراره على النجاة، لكن كل محاولاته باءت بالفشل، وجاءت لحظة فراق الحياة، لكن يد مراكشي أعدته للحياة وأنقذته من الموت في الأخير يمكن القول بأن المسجد هو موقع للعبادة والتوبة فهو يعتبر كذلك ضمن النوع المكاني المقدس". ويمكن القول بأن المسجد ينتقل من التقديس إلى التدنيس في الرواية.

## 5- المطبخ:

يعد من الأماكن المغلقة الموجودة في كل بيت ويعتبر مكانا لطبخ الأكل، وقد تطرق الكاتب في الرواية بدلالاته الطبيعية، يقول «كيف تجدين الكسكس بكرش النعجة؟ يستفهم جدي، يمزق اللحم... تتسل كلمات لالة فاطمة تقطع اللحظة ملامحها محمصة: الشكر لحسية، لم تهجر المطبخ».<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الرواية، ص 81

<sup>2</sup> الرواية، ص 252

<sup>3</sup> الرواية، ص 53

يتبين من خلال قوله أن أخله حسبية هي من طبخت الكسكس، وتم منحها من قبل فاطمة.

وكذلك يقول: «عليمة في المطبخ، تذرف نظاراتها السميقة شالها البني حول كتفيها، تكف سكينها نحر حبة البصل، يتكفي قصر نظرها فوق ما أبغي زواله من قائمة الطعام»<sup>1</sup>. في هذا المقطع تلاحظ وصفه لأخته، وذكر أفعالها داخل المطبخ وتوقفها عن تقطيع البصل، وشرودها في شيء لا يحب الراوي أكله، فقد أشار له فقط ولم يذكره بغية التشويق. في موضوع آخر يقول عبد الرحمان: « ظلت معي في الصالون فيما دلفت شميسة ودورة إلى المطبخ، تساعدان نادية يزين طاولة الزان الفرنسية، يكسينها أطباق الزاد»<sup>2</sup>. إن البطل يخبر ببقاء عليمه معه في الصالون بينما خرجت شميسة ودورة إلى المطبخ يساعدان نادية فيجهزن الطاولة بالزينة وأطباق الأكل.

وفي موضع آخر يقول الكاتب: « أقف جوار شق باب المطبخ أسمع دورة ترطن، تشاجر دجاجة، تنتف ريشها أكره دجاج العرب تصب الماء المغلي على البهيمة العربية»<sup>3</sup> ذكر عبد الرحمان جزءا من المطبخ وهو الباب الذي كان بجواره، فسمع أخته تشاجر الدجاجة وهي تقوم بتنظيفها فالحياة في بعض الأحيان تكون متعبة لكن في الوقت نفسه حلوة وممتعة حياة عبد الرحمان تتميز بالبساطة.

وكذلك يقول: « كنت في المطبخ، ذلك الصباح، أكل مكدوس القطير، حينما جاءت الحياة»<sup>4</sup>.

إن الراوي متواجد في المطبخ يتناول وجبة الإفطار المتمثلة في الفئات، ويذكر كل ما سمعه من الكلام الذي جرى بين نادية وعليمة عن زواج عزيزة.

<sup>1</sup> الرواية، ص 60

<sup>2</sup> الرواية، ص 101

<sup>3</sup> الرواية، ص 118

<sup>4</sup> الرواية، ص 195

وفي الأخير يمكن القول أن المكان المغلق هو الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن»<sup>1</sup>.

فالأماكن المغلقة هي التي تحدها حدود سقفيه ولها خصوصية في نفسية كل فرد.

وقد أدى هذا النوع من الأماكن دور مهم في الرواية وهذا ما أكدته حفيظة أحمد بقولها: «تؤدي الأمكنة المغلقة دوراً محورياً في الرواية فهي تتفاعل مع الأمكنة المفتوحة باجا بيئاتها وسلبياتها، إذ تعد هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والأمال والترقب وحتى الخوف، فالأماكن المغلقة مادياً واجتماعياً، تولد المشاعر المتناقضة والمتضاربة في النفس، وتخلق لدى الإنسان صراع داخلي بين الرغبات وبين المواقع وتوحي بالراحة والأمان في الوقت نفسه»<sup>2</sup>.

وهذه الأماكن المغلقة غالباً ما تكون مليئة بالذكريات والأمال، كما يمكن أن تكون هذه أماكن مصدر راحة وملجأ للحماية يأوي إليها الإنسان، وعند تحليلنا الرواية توصلنا إلى الأمكنة المغلقة التالية: المنزل، الغرفة، المسجد.

وفي الأخير برع الراوي في توظيفه للأمكنة المغلقة والأمكنة المفتوحة من خلال ربطه مع بقية العناصر السردية الأخرى، التي ساعدت على توليد أبعاد دلالية مختلفة في الرواية. والأمكنة المغلقة دالت القدر الكبير في الرواية وهذا دليل على الجو المتشائم الضيق، وربما يرجع ذلك إلى غلبت الذكريات وتعلق الراوي بها وهيمنت الماضي على الحاضر، لأنه حاصر بأس وحزين

<sup>1</sup> فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، ص 163

<sup>2</sup> حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص 134

خاتمة



## خاتمة:

- وفي ختام هذا البحث ومن خلال دراسة رواية "حفاة على الجمر" خلصت الدراسة إلى نتائج مختلفة لعل أهمها :
- أن المفاهيم والمصطلحات حول تعريف البيئة قد تعددت، إذ عرفها كل ناقد حسب وجهة نظره واتجاهه النقدي وعل أبرزها وأشملها البنية نظام يتمثل في مجموعة من القوانين التي تربط بين عناصرها.
  - يعتبر المكان عنصراً أساسياً في بناء الرواية فلا وجود لرواية بدون مكان، ولا مكان بدون سرد، فالمكان جوهر النص وجزء لا يتجزأ منه.
  - يمنح المكان لنص الروائي أبعاداً دلالية ذات قيمة جمالية وفنية وذلك باعتباره الركيزة الأساسية التي تبنى عليها الرواية التي تساعد في الكشف عن دلالات المكان ووظائفه، فلا بد من توافره ليصبح المتن متكامل أو ذو معنى.
  - للمكان دور كبير في تسيير الأحداث وتحريك الشخصيات فهو الذي يسمح لها أن تعيش التجربة وتجد ملاذاً لتعبير عن أحاسيسها ومشاعرها.
  - من خلال الأمكنة في الفضاء السردى يمكن فهم سلوك الفرد وانفعاله، فالإنسان والرواية مرتبطان بالمكان ارتباطاً وثيقاً.
  - استطاع الراوي "أحمد حمادي" أن يوظف عدة أمكنة في الرواية وتوزعت بين أماكن مغلقة ومفتوحة، ورغم أن وصفه لهذه الأمكنة كان وصفاً بسيطاً غير معقد إلا أنه ترك أثراً في نفسية المتلقي وجذبه لقراءة باقي أحداث الرواية.
  - خلصت الدراسة إلى عدة أمكنة تتحرك عملية السرد داخلها أهمها: المنزل والغرفة والدكان والقرية والشارع، وكلها أمكنة معروفة عند المتلقي وله فيها ذكريات ومواقف.
  - لقد عمدت الرواية إلى المزج بين نوعين من الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة التي ساهمت في بدائها.
  - تتجلى أبعاد المكان واضحة في رواية الكاتب والتي تشكلت من تأثير الذكريات المترسبة في مخيلته وجاءت متنوعة عبر أمكنة مختلفة منها: المنزل، المسجد، الحديقة وغيرها.



- نلاحظ بأن الراوي عرض أماكن خاصة كالبيت والمطبخ وغرف النوم، وأماكن عامة كالقريّة التي كانت المكان المحبوب له ولم يستطع مفارقتها.

- إن الذات البشرية تفضل أماكن عن أخرى، والأماكن المرغوب فيها تتصف بالانفتاح والمرفوضة تتصف بالانغلاق وهذه الأماكن لا تحمل الدلالة نفسها، فهناك أماكن مغلقة ومحدودة ولكنها جاذبة للإنسان، ولوحظ من خلال الدراسة علبة المكان المغلق وبخاصة بيت عبد الرحمان الذي عاش فيه وكان يحب البقاء فيه رغم انغلاقه، لأنه مصدر أمان وراحة وابتعاد عن صخب الحياة ليعيش في اطمئنان، فنجد في الرواية عدة فضاءات متعلقة وهذا دليل على انغلاق النص وانغلاق صاحبه.

- وقد قمنا بدراسة الرواية من الناحية البنيوية وهي رواية جديدة درسنا فيها المكان، حبذا لو يأتي طلبة آخرون ويدرسونها بمناهج أخرى للحصول على نتائج مختلفة أخرى لأنها ثرية وتحمل في طياتها معاني ودلالات قيمة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بعميق الشكر والامتنان للأستاذ الفاضل "أحمد أمين بوضياف" على توجيهاته ونصائحه التي قدمها لي وأتوجه بجزيل الشكر والامتنان للأستاذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



قائمة المصادر

والمراجع



- القرآن الكريم.

- المصادر:

1. أحمد حمادي: حفاة على الجمر، دار الشافعي للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2019.

- المراجع:

2. أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004م.

3. ابراهيم خليل، بنية النص الروائي (دراسة) منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م.

4. ابراهيم عباس، الرواية المغاربية (تشكل السرد في ضوء البعد الإيديولوجي)، الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005.

5. ابراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، دراسة في بنيه الشكل، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002.

6. ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، 1997م.

7. أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران.

8. أسماء شاهين، جماليات المكان في الروايات جبرا ابراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001.

9. أنيس محمد، الشعر العربي الحديث، بنياته وابداعاته، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م.

10. إيليا الحاوي، في النقد والأدب المعاصر تطور القصيدة المعاصرة مقطوعات من الأبناء المعاصرين، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1986م، ج4.



11. باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ط1، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، 2008.
12. حسن الأسلم، الشخصية الروائية عند خليفة حسن مصطفى، مجلس الثقافة العام، سرت، ليبيا، 2006.
13. حسين البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990م.
14. الحسين بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء (الفضاء الزمن الشخصيات)، المركز الثقافي، لبنان، ط1، 1999م.
15. حسين خمري، نظريات القراءة، وتلقي النص الأدبي، مجلة العلوم الانسانية، العدد 12.
16. حسين علي عبد الحسين الدخيلي، القصاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين، ظل، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
17. الحفيظة احمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية دراسات نقدية، منشورات مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1، 2007.
18. حنان موسى، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الاردن، 2004.
19. الخطيب محمد كامل، الرواية والواقع، سلسلة النقد الأدبي، ط1، دار الحداثة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981م.
20. در غاستون باشلار، جماليات المكان في الرواية، ترغائب هانساء وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980.
21. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، نقلا عن نبيل سليمان، جماليات التشكيل الروائي.



22. راشدي حسان، القصة الجزائرية القصيرة من خلال مجلة الأمل، رسالة ماجستير في الأدب الحديث، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة.
23. روجر آلن، (الرواية العربية)، ترجمة: حصة ابراهيم المنيف، المجلس العلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1997م.
24. الزيبيدي، تاج العروس، مج 18، باب النون، تح علي بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط، 1994.
25. سلمان كاصبر، عالم النص السردي، دراسة بنيوية في الأساليب، دار الكندي، الأردن، 2003.
26. سمر روجي الفيصل ، السجن السياسي في الرواية العربية ، ط2 ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، 1944.
27. سمية شوابكة، المكان الروائي في أعمال محمد جبريل، حكايا سحر الحكى ومنتعة التأويل ، 2015.
28. سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985.
29. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لزقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
30. غاستون باشلار: جماليات المكان، ط2، (تر غالب هلسا)، المؤسسة الجامعة للدراسة والنشر والتوزيع، لبنان، 1984.
31. غاستون باشلار، جماليات الصورة، طاء التصوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010.
32. غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط2، 1404هـ-1984م.
33. غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هاني دمشق، ط1، 1989.



34. فهد ضحى علي، علي أحمد با كثير وأدبه النثري - رواية تاريخية نموذجاً - دراسة فنية ، رسالة ماجستير ، الجامعة العراقية بغداد ، 2011.
35. قاسم سيزا أحمد، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
36. لضياء غني الفئة عواد كاظم لفقة، سردية النص الأدبي، دار حامد عمان، الأردن، ط1، 2011م.
37. مجلة الفيصل، مجلة ثقافية شهرية، العدد 286، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ربيع الآخر 1421هـ، أغسطس، 2000م.
38. محمود محمد عيسى، تيار الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دراسة مقارنة، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 1981م.
39. المكان في رسالة الغفران، ص20، نقلاً عن نبيل سليمان، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق)، عالم الكتب للنشر والتوزيع، اريد، الأردن، ط1، 2012.
40. مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، تمشى، 2011.
41. نصيرة زوزو: بناء المكان المفتوح في رواية طوق الياسمين (مقال)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيصر ، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن 21 نوفمبر 2012.
42. يوري نومان وآخرون: جماليات المكان، ط2، عيون المقالات الدار البيضاء، المغرب، 1988.
43. يوسف حطيني، دراسة مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.

فهرس

الموضوعات



الصفحة	فهرس الموضوعات
	شكر وعران
أ	مقدمة
<b>مدخل معرفي: المكان في الدراسات النقدية الحديثة</b>	
05	1- إشكالية المصطلح (المكان الروائي)
07	2- تعريف الرواية الحديثة
09	3- الرواية الجزائرية الحديثة
09	4- الفضاء الروائي في النقد الحديث (غاستون باشلار أنموذجا)
<b>الفصل الأول: ضبط المفاهيم والمصطلحات</b>	
15	أولا: مفهوم المكان
18	ثانيا: المكان عند الغرب
20	ثالثا: المكان عند العرب
23	رابعا: مفهوم المكان وأهميته في الأدب
25	خامسا: أهمية المكان الروائي
26	سادسا: أنواع الأمكنة
28	سابعا: المكان وعلاقته بالعناصر الأخرى
<b>الفصل الثاني: تجليات المكان في رواية حفاة على الجمر</b>	
32	أولا: الأمكنة المفتوحة
32	1- القرية
35	2- الحديقة
36	3- الحوش
37	4- الجبل



39	5- الشارع
41	6- فرنسا
42	7- المقهى
44	ثانيا: الأمكنة المغلقة
44	1- المنزل
46	2- الغرفة
49	3- الدكان
50	4- المسجد
52	5- المطبخ
56	خاتمة
59	قائمة المصادر والمراجع
	ملخص

## ملخص:

من هذا البحث المعنون بـ: هندسة المكان في رواية "حفاة على الجمر" لـ: أحمد حمادي، نحاول من خلاله الوقوف عند تظاهرات المكان في الرواية، وقد اعتمدنا على المنهج البنيوي القائم على وصف بنية اللغة وتحليلها لدراسة عنصر المكان كدلالة داخل المتن الروائي، لما له من معان ودلالات تحتاج إلى وصف وتحليل واكتشاف ما توارى من خلفه ووصف مختلف الأمكنة.

قسمنا بحثنا إلى فصلين، مسبقين بمقدمة ومدخل، ثم في الأخير خاتمة.

**المدخل المعرفي المعنون بـ: "المكان في الدراسات النقدية الحديثة"**، تناولنا فيه ماهو المكان الروائي، وتعريف الرواية الحديثة والرواية الجزائرية الحديثة، وكذلك الفضاء الروائي في النقد الحديث (غاستون باشلار أنموذجا).

**أما الفصل الأول** عنوانه بـ: "ضبط المفاهيم والمصطلحات"، تطرقنا فيه إلى مفهوم المكان لغة واصطلاحاً وأنواع المكان ومفهوم المكان في الأدب وكذلك أهمية المكان وتناولنا فيه أيضاً أنواع المكان في الرواية وعلاقة المكان بالعناصر السردية الأخرى.

**أما الفصل الثاني** التطبيقي حيث عنوانه بـ: "تجليات المكان في رواية حفاة على الجمر"، تناولنا فيه الأمكنة المفتوحة والمغلقة في رواية "حفاة على الجمر".

**الكلمات المفتاحية:** المكان المفتوح - المكان المغلق - حفاة على الجمر - أحمد حمادي.

## Abstract:

From this research entitled: The Architecture of Place in the Novel "Barefoot on the Embers" by: Ahmed Hamadi, through which we try to determine the manifestations of place in the novel, and we have relied on the structural approach based on describing the structure of language and analyzing it to study the element of place as a signification within the narrative body, as It has meanings and connotations that require describing, analyzing, discovering what is hidden behind it, and describing various places.

We divided our research into two chapters, preceded by an introduction and introduction, and finally a conclusion.

The cognitive introduction entitled: "Place in Modern Critical Studies", in which we discussed what the fictional place is, the definition of the modern novel and the modern Algerian novel, as well as the fictional space in modern criticism (Gaston Bachelard as an example.)

As for the first chapter, we entitled: "Control of Concepts and Terminology," in which we discussed the concept of place linguistically and terminologically, the types of place, the concept of place in literature, as well as the importance of place. We also discussed the types of place in the novel and the relationship of place to other narrative elements.

As for the second applied chapter, which we titled: "Manifestations of Place in the Novel Barefoot on the Embers," we discussed the open and closed places in the novel "Barefoot on the Embers".

**Keywords:** open place - closed place - barefoot on hot coals - Ahmed Hammadi.

